

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية  
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي  
جامعة محمد بوضياف - المسيلة-

ميدان: اللغة والأدب العربي  
فرع: دراسات أدبية  
تخصص: أدب جزائري



كلية الآداب واللغات  
قسم: اللغة والأدب العربي  
رقم: L15/360

مذكرة مكملة مقدمة لنيل شهادة الماستر أكاديمي  
إعداد الطالب (ة): صباح عامر  
تحت عنوان:

المرأة في الرواية الجزائرية في السبعينيات  
"ريح الجنوب"  
لعبد الحميد بن هدوقة - انموذجا-

تاريخ المناقشة: 2017/05/20 من 16:00 إلى 17:00

لجنة المناقشة:

رئيسا	جامعة: المسيلة	د. تيس ناصر الحسني
مشرفا ومقررا	جامعة: المسيلة	د. جوبر عبد الحفيظ
مناقشا	جامعة: المسيلة	د. معمري عبد الكريم

السنة الجامعية: 1437/1438هـ

مقدمة

مما لا شك فيه أن الرواية من أبرز الفنون الأدبية راجا في الأدب الحديث، لأنها الأنسب لمعالجة قضايا المجتمع الإنساني ومشاكله بصفة عامة، ومنه فقد تسيّدت الساحة الأدبية، واحتلت مكانة رائدة بين الفنون الإبداعية الأخرى، فاستطاعت أن ترسم بمصادقية توجهات الأفراد والمجتمعات، وغدت بذلك أصدق صورة لجوانب الحياة في أي مجتمع .

والرواية الجزائرية كغيرها من الروايات العربية والعالمية، عرفت تطورا ملحوظا في الآونة الأخيرة، فكانت أشدّ التصاقا بواقع المجتمع الجزائري، حملت آلامه واحتضنت آماله وأحلامه، وعبرت عن تطلعاته المشروعة، واستطاعت بعض الأقلام التي لمعت في سماء هذا الفن أن تغزو أسواق الكتب العالمية، حيث كتب لأعمالهم أن تترجم إلى عدّة لغات ، وبهذا تمكنت من الرقي إلى مصاف الأعمال الأدبية الخالدة بكل ما تحمله من تشخيص للواقع المعيش، وما تترجمه من رسائل إنسانية، وإيديولوجية، وسياسية، وحضارية، بقيم فنية وجمالية، حتى إن رواية " ربح الجنوب" لعبد الحميد بن هدوقة ورواية "اللاز" للطاهر وطار تمّ تصنيفهما من بين أفضل مائة وثلاث روايات عربية.

هذه الروايات باتجاهاتها المتباينة، وموضوعاتها المتنوعة، لم تقدّم وجها للأدب الجزائري فحسب، بل رسمت صورا للثقافة الجزائرية والعادات والتقاليد، للمجتمع في واقعه وتعامله، فالرواية لها القدرة على الوصف والتحليل والتخيّل، وهي نتاج تفكير المجتمعات لأنها تعبر عن حياتهم وصراعاتهم، وتصف النظام الذي يقوم عليه المجتمع من تعليم، وعمل، وزواج ، وروابط أسرية ...، وهي تحاول الكشف عن الحالة النفسية للأشخاص من خلال مواقفهم ومن خلال طموحاتهم، وإمكانية تحقيقها في ظل الظروف المحيطة، وتعدّ المرأة عنصرا أساسيا في هذا النظام، نظرا للدور الهام الذي تؤديه في المجتمع، لذلك حاولت أن أكشف في هذه الدراسة ولو شقًا بسيطًا من مواقفها، تطلعاتها، أحلامها، ولما كانت الروايات في هذه الفترة تسرد مرحلة تغيير مسّت المجتمع الجزائري بعد أن عانى لعقود من الزمن من ويلات الاستعمار، ها هو الآن في مرحلة بناء وتشديد،

فما كان على الروائيين سوى مواكبة هذا التطور، فالرواية الصادرة في تلك الفترة مرتبطة بالماضي؛ أيام الثورة الجزائرية، ومسايرة للحاضر، وتحمل تطلعاتٍ نحو مستقبل أفضل، وكأن الكتب يصبونها في قالب اجتماعي، يستنطقون فيه الواقع على لسان شخصيات تمّ توظيفها لهذا الغرض، فكان للمرأة نصيب من هذا التوظيف، ولعل ما دفعني للتركيز على مكانتها، ومحاولة استقراء صورتها، والوقوف على رمزيتها هو ما تركته بعض الروايات " كنهاية الأمس" و "ريح الجنوب" لعبد الحميد بن هدوقة من أثر في نفسياتي أثناء دراستي بالمرحلة الأولى من التعليم الجامعي، وكيف كنت أستحضر وأنا أتصفح رواية "ريح الجنوب" فضاءات خيال الكاتبة الواسعة وكيف جعلني أغوص معه في عوالمه المتناهية، فأرى ما يكتبه ماثلا ومجسداً أمام ناظري، وما شدّ انتباهي أكثر هو دفاعه عن قضايا المرأة ومحاولة تسليط الضوء على معاناتها .

وقد اخترت فترة السبعينيات بالضبط لأنها الفترة التي تمثل القاعدة أو اللبنة التي يبنى عليها المجتمع الجزائري، وهي المرحلة التي بدأت فيها العقول بالانفتاح، وسمع فيها صوت المرأة مطالبا بالتحرّر من عادات سنّها الرجل وطبقها عليها، رغم أنها لا تمتّ لا للحياة ولا للدين بصلة .

إذن هذه القراءة في الروايات اعتبرت حوارا مع رأي آخر، رأي عبّر عنه الأدباء فحاولت أن أصيغه في هذا البحث، علّني أضيف شيئا إلى مجموع الدراسات التي تحدّثت عن صورة المرأة في الرواية العربية، لكن لم يكن للرواية الجزائرية وعلى الرغم من ذيع صيتها حظّ فيها، وهذا ما دفعني للاهتمام أكثر بهذا الموضوع، علّه يكون كتعريف بالمضامين الإنسانية الكامنة في الرواية الجزائرية، فجعلتها تشمل العديد من الروايات كرواية " ما لا تذروه الرياح" لعبد العالي عرعار، ورواية "العشق والموت في الزمن الحراشي" للطاهر وطار"، و" نار ونور" لعبد المالك مرتاض، دون الاقتصار على روايات ابن هدوقة الذي سلطت العديد من الدراسات الضوء على تصويره للمرأة، والتي منها رسالة الماجستير التي تحمل عنوان "صورة المرأة في روايات عبد الحميد بن هدوقة" لفهيمة الطويل.

وعليه فالسؤال الذي وجدت أن نصوص الأدبيين تطرحه عبر عناصر التشكيل اللغوية والأدبية يتسع لتجاوز البحث عن مكامن الجمال الفني إلى البحث في الإيحاء المضموني وإلى مقاصد الأديب، من وراء الكتابة والقضايا التي يُدافع عنها.

ولهذا وجدت نفسي أطرح مجموعة من الأسئلة هي انشغالات البحث فيما أعتقد وهي:  
- ما الذي دفع الأدباء إلى تكثيف إخراج النصوص السردية في فترة السبعينات؟ أهى الرغبة في التجديد والإبداع ومواكبة التطورات، أم هي العبقرية التي تنطوي عليها هذه النصوص، والتي تسمح بقراءات ومقاربات ليس لها حدود؟ .

- ما القصديّة من توظيف المرأة في الرواية ومناقشة قضاياها؟ كيف كانت صورة المرأة في الرواية الجزائرية وما موقف الأدباء منها؟

- أيمن لصورة المرأة أن تكشف عن أوصل المجتمع الجزائري خاصة وأنها مرتبطة برموز أسطورية وتاريخية وحضارية؟.

وللإجابة عن هذه الأسئلة بشكل واضح اخترت رواية " ربح الجنوب" لعبد الحميد بن هدوقة كأنموذج يكشف وبالتفصيل في متعة وتشويق عن الأبعاد الإنسانية والاجتماعية والنفسية لصورة المرأة في تلك الفترة .

وبناءً على هذا فقد وضعت هيكلًا يتماشى وطبيعة الموضوع ويفرض هذا الهيكل التعرض لجوانب دون أخرى، لأن البحث فيها قد يتسع ليفتح أبوابا لا يمكن التحكم فيها .

وهذا الموضوع حدد منهجية من عنوانه، إذ فرض المنهج التحليلي نفسه منهجا دون منازع ، فالتحليل هو الأقدر على الاستخراج والتأويل، وهو ما يساعد على فهم الأنساق المختلفة في الرواية، كما استفدت من مناهج أخرى في هذه الدراسة بحكم صلتها بطبيعة الموضوع ومضمونه كالمناهج التاريخية، ووفقا لما اقتضاه البحث وطبيعة الموضوع، فقد قسمته إلى مقدمة وفصلين وخاتمة، أشرت في المقدمة إلى أهمية الموضوع، ودوافع اختياره، والهدف من دراسته والمنهج الذي ارتضيته، أما الفصل الأول فكان نظريا والمعنون بـ " المرأة والرواية الجزائرية الصادرة في السبعينات" رصدت فيه مكانة المرأة الجزائرية في المجتمع وأهمية

توظيفها في الرواية، كما تتبعت جذور الرواية الجزائرية المكتوبة بالعربية، ولم تعتبر فترة السبعينات مرحلة نهضة للرواية في الجزائر، وهنا رصدت صورة المرأة في هذه الروايات ، وكان الفصل الثاني المعنون بـ " صورة المرأة في رواية ربح الجنوب " فصلا تطبيقيا تناولت فيه بالتفصيل الأبعاد التي رسمها الأديب للمرأة ورمزية الشخصيات النسوية فيها . وأوجزت ما توصلت إليه من نتائج في خاتمة انتهت إليها من خلال البحث في أحداث هذه الروايات .

وقد استندت في هذا العمل ببعض الأسانيد الأساسية، التي كان حضورها قويا ومكثفا في المادة العلمية كالروايات، وبعض المراجع مثل: صورة المرأة في الرواية الجزائرية لصالح مفقودة ، الشخصية في الرواية الجزائرية لرشيد بوجدره ، دراسات في الرواية الجزائرية لمصطفى فاسي.

والحقيقة أن العمل العلمي عادة لا يعترف بالصعوبات ولكني أقرّ أنني قد واجهت البعض منها خاصة في ما يتعلق بالحصول على المراجع المتخصصة. كما أن عامل الوقت وضيقه حال دون التوسع أكثر في الموضوع، ويبقى أمني أني قد وُفقت في إخراج البحث بالصورة التي كنت أبتغي .

ولا يسعني في النهاية إلا أن أشكر أستاذي المشرف: **عبد الحفيظ جوير** على رحابة صدره ، وقوة صبره ، كما لا أنسى فضل كل من ساعدني في إنجاز هذا البحث من الأساتذة والزملاء والأصدقاء .

والحمد لله رب العالمين على توفيقني في إنهاء هذه الدراسة وكلي أمل في إدراك مقصدي.

# الفصل الأول

## أبعاد صورة المرأة في الرواية الجزائرية الصادرة في السبعينيات

### تمهيد

#### أولاً : المرأة والرواية :

- 1- نشأة الرواية الجزائرية وتطورها .
- 2- أهمية موضوع المرأة في الرواية :
  - أ- مكانة المرأة الجزائرية في المجتمع .
  - ب- توظيف العنصر النسوي في الرواية .

#### ثانياً : مقارنة لصورة المرأة في الرواية الجزائرية الصادرة في السبعينيات :

- 1- السبعينيات عقد الرواية الجزائرية .
- 2- أبعاد صورة المرأة في الرواية الجزائرية الصادرة في السبعينيات :
  - أ- البعد الانساني .
  - ب- البعد الاجتماعي .
  - ت- البعد النفسي .
  - ث- البعد الجسمي .

#### ثالثاً: رمزية المرأة في الرواية

**تمهيد :**

إن جنس الرواية هو أقدر الأجناس الأدبية على تصوير الواقع تصويراً حياً ومتحركاً أو خلق عالم بديل عمّا هو واقع، يفرّ ويلجأ إلى أكنافه القارئ الباحث عن عالم آخر يلبي ذوقه الفني وتصوره للعالم يريد وفق مقياس أمنيته ، وذلك العالم الحقيقي أو المتخيل لا تتفكّ المرأة تشكل الجزء الأهم والكبير فيه .

المرأة هي أساس وهيكل المجتمع فهي تمثل النصف الثاني الذي يقوم عليه العالم فهي تشارك الرجل حياته وتشاطره المشاكل والهموم فمتلما يخلو عالم بدون رجل ، كذلك يستحيل أن يوجد عالم بدون امرأة ، وعليه فهي تمثل نقطة بحث ثرية في المجال الأدبي ، ففي الرواية هي أساس مهم لتكوين الحكمة السردية، فبدونها سيكون العمل غير مكتمل بما يكفي لرفع القارئ لمواصلة قراءة العمل والعيش فيه، أو التفاعل معه على اعتبار أن السارد القوي يجعل من بعض القراء طرفاً في هذا العالم، وإن لم تحضر المرأة جسداً فلا مناص من أن تحضر روحاً، وحلماً يهرب إليه الرجل كلما شعر بالوحدة أو اشتدّ به الألم.

والأديب الناجح هو من يستطيع تقديم شخصيات بواقعية الأحداث التي تتفاعل معها وتوظف العنصر النسوي في الرواية غالباً ما يكون الهدف منه عكس معاناة المرأة والغوص في اشكالياتها داخل المجتمع الذكوري، ذلك أن المبدعين يدركون مدى أهمية المرأة وقدرتها على دفع عجلة المجتمع دفعا قويا إلى الأمام منتجة أو محفزة، أو متطلعة، أو ملهمة، فيسعون إلى استحضارها، إما رمزا أو أسطورة، أو شخصية داخل نصوصهم ويكون لها وزنها ودلالاتها العميقة، فتضفي على النصّ جمالية لا يمكن الاستغناء عنها بأي حال من الأحوال.

وليس حضور المرأة بالحدث الجديد فهي حاضرة منذ الأزل، منذ ولادة الأدب مع الإلياذة والأوديسة والأعمال الخالدة، ومع بدايات الرواية العربية، حملت الكثير من الروايات عناوين بأسماء نساء كرواية " زينب" لحسنين هيكل - وهي تعدّ أول رواية عربية -وما تلاها من أعمال روائية كثيرة وحتى في الجزائر دار موضوع أول رواية عربية مكتملة فنياً

حول موضوع المرأة وهي رواية " ربح الجنوب" لعبد الحميد بن هدوقة ، والتي صدرت في مرحلة شهدت فيها البلاد صراعا خفيا تارة ، ومفضوحا تارة أخرى ، تغييرات جذرية غيرت وجه الجزائر مع بداية السبعينات من هذا القرن ، فقد كانت لنضالات العامل في مصنعه والفلاح في حقله ، والشبيبة الثورية في مراكزها والمرأة في بيتها أو في عملها مكاسب ديمقراطية تحققت ، فكانت بمثابة الثمرة أو النتيجة الحتمية للصراعات التي تقودها القوى الحية في البلاد وعلى كافة المستويات والأصعدة .

وفي ظل تلك الظروف إذن نشأ أدب جديد يحمل بين طياته الروح الجزائرية التي فرضتها ظروف متميزة مرّت بها البلاد، ونشأت معها اتجاهات مختلفة عبّرت عن آرائها ومصالحها بقصد أو دون قصد.

ولا يمكن القول أن موضوع المرأة هو الموضوع الطاغي في الساحة الروائية في تلك الفترة فالروايات الصادرة في السبعينات عالجت المشاكل التي تتخبط فيها الجزائر كمشاكل الحركة الوطنية السياسية وفكرة التحوّل إلى النظام الاشتراكي ، والثورة الزراعية ....، ضمن الاطار الاجتماعي ككل ، لكن قضية المرأة لم تغب عن الروائيين فطرحوها ولو على الهامش .

وأقلّ ما يقال عن هذه الروايات أنها كانت في مجموعها متفائلة بالغد المشرق ، ذلك الغد الذي كانت المرأة تحلم أن يتمّ تحريرها فيه من الذهنية المنغلقة التي ترى دورها مقتصرًا على أن تكون الأم الطاهرة المقدسة أو الزوجة العفيفة المطيعة المخلصة الباردة المحترمة . وعلى الرغم من أن الثورة التحريرية ساهمت في كسر كثير من قيود المرأة إلا أن النظم الاجتماعية التي يقوم عليها المجتمع الجزائري أبت إلا أن تقبل بالمساواة التامة بين الجنسين فأعادتها إلى ما كانت عليه أيام الاستعمار .

وكما سبق وأن ذكرنا فإن الرواية هي مرآة عاكسة للواقع، وعلى هذا الأساس لا بدّ للمرأة أن تحظى بنصيب من الطرح فيها، ولذلك كانت الرواية الجزائرية الصادرة في السبعينات تحاول جادة الخروج من ضيق الرؤية إلى آفاق أكثر انطلاقا وتقدّما، وأكثر اشراقا

ووعيا بالمرحلة ومهامها العاجلة حيث لا تكون فيها السلطة حكرا على الذكور فحسب فالحالة الاجتماعية المتزنة تتطلب أن لا تطيح بكل ما يعود على المجتمع من منافع المرأة ، فهي في الظاهر صالحة للعمل والحضانة فقط لكنها يمكن أن تنافس الرجل أو حتى تتغلب عليه بما تملكه من مواهب .

في هذا الفصل نحاول الغور في مكانة المرأة الجزائرية في المجتمع ، والظروف والأسباب التي يمكن أن تقول عنها أنها ساهمت في نهضة الرواية العربية في السبعينات ، والكيفية التي عالجت فيها هذه الروايات موضوع وقضية المرأة وكيف رسمت صورتها بأبعادها الانسانية والاجتماعية والنفسية والجسدية والأهداف من وراء طرح معاناتها ورصد آمالها وحتى ما يمكن أن ترمز اليه من وراء توظيفها ضمن شخصيات الرواية .

أولاً : المرأة والرواية :1- نشأة الرواية الجزائرية وتطورها :

يشير أغلب النقاد والدارسين في الجزائر إلى أن نشأة الرواية الجزائرية الحديثة المكتوبة باللغة العربية يعود ميلادها إلى السبعينات عدا روايتين هما: " غادة أم القرى" لأحمد رضا حوحو و"الطالب المنكوب" لعبد الحميد الشافعي وقد صدرتا في أواخر الأربعينيات، وقد اعتبرهما الناقد " محمد مصايف" قصتين طويلتين، لكنه لا يرى مانعا من عدّ هذين العملين روايتين على سبيل التجاوز والريادة، وكان الناقد والباحث الجزائري أبو القاسم سعد الله قد عدّ رواية (حكاية العشاق في الحبّ والاشتياق) والتي كتبت سنة 1849 أي قبل الروايتين السابقتين أول عمل روائي في الجزائر فقد عثر عليها مخطوطة في المكتبة الوطنية بالجزائر العاصمة ، وقام بتحقيقها وطباعتها .<sup>(1)</sup>

والمتتبع للأدب الجزائري الحديث يعرف أنه أدب ثوري عايش الثورة بكل أبعادها ومفاهيمها، الثورة المسلحة ضد الاستعمار الفرنسي، والثورة ضد الاستغلال، والثورة في مرحلة البناء والتحول الاجتماعي، أما ما قبل الثورة فقد كان أدبا له شعاراته فهو يردّد أن العروبة والاسلام، والوطنية والأمة والاستعمار هي مميزات يستند إليها الأديب لتوعية الشعب بشخصيته، وهذا يعني أنه لم يكن أدبا محايدا أمام واقعه، ومن هنا فقد استطاعت الرواية الجزائرية أن تبلور معالم الواقع الثوري إبان الثورة المسلحة وأثناءها وفي زمن الاستقلال . ولعل هذا الواقع بحركته قدّم للروائيين الجزائريين مادة غنية ساعدتهم في عملية الابداع والتكوين، والرواية الجزائرية لم تستطع التخلي عن وقائع وأحداث الثورة حتى الآن ، فهي مدّ كبير للروائي الجزائري، الذي مازال يستفيد من أحداثها ووقائعها -حدثا وتاريخا- حتى في معاناته لوقائع البناء وحركة التغيير الاجتماعي، وهذا ما يجعلنا نقول: إن الحدث الروائي في الجزائر ذو أصول واقعية .<sup>(2)</sup>

والحدث الروائي في الرواية الجزائرية يأتي متوازيا مع المحاور التالية :

<sup>1</sup> أحمد دوغان ، في الأدب الجزائري الحديث ، منشورات اتحاد كتاب العرب ، 1996 ، ص 85.

<sup>2</sup> المرجع نفسه ، ص 86.

- الثورة الجزائرية المسلحة .
- التطبيق الاشتراكي والثورة الزراعية .
- الالتزام ونقد الواقع .
- الجالية الجزائرية وواقع المهجر .
- الهجرة من الريف إلى المدينة .
- قضايا أخرى هامشية . (1)

لقد كان للثورة المسلحة (1954م 1962م) رصيدها الجَمّ في الرواية، وجاء التشخيص لأحداثها واعيا حيناً وعاطفياً حيناً آخر، والأديب الجزائري في هذه الفترة قام بدور مزدوج تمثل في محاولة نشر القضية الجزائرية في البلدان الشقيقة والصديقة من جهة، وتجنيد الجزائريين للإسهام في المعركة القائمة، وتشجيعهم على مواصلتها، فلمعت أسماء بعض الروائيين من أمثال الطاهر وطار و"دودو" وغيرهما، وقد قاموا فعلاً بدورهم الوطني، ويكفي أن ننظر إلى ما نشر في السنوات الأخيرة من الثورة، أو بعد الاستقلال مباشرة، لتتأكد من فعالية هذا الدور في دفع الجماهير الجزائرية لميدان المعركة، واستماتتها في المقاومة والدفاع.<sup>(2)</sup> ومن بين الروايات التي ظهرت في هذه المرحلة نجد " الحريق " لنور الدين بوجدره سنة 1957 م.

وبعد رواية "الحريق" جاءت فترة الاستقلال وما بعده -فترة الستينيات- التي جمدت فيها الأعمال الأدبية بصفة عامة، والرواية بصفة خاصة، نظراً للأوضاع المزرية والصراعات المحتدمة بين الأحزاب وهو ما انعكس سلباً على الإنتاج الأدبي، لكنها مثلت ما يشبه التربة الخصبة لانطلاق الرواية من جديد، وقد اهتم الأدباء في هذه المرحلة بما يشغل الجماهير الجزائرية بالدرجة الأولى وهو توفير الحياة الكريمة لهذا الشعب المكافح المضحياً

<sup>1</sup>المرجع السابق، ص 87.

<sup>2</sup>محمد مصاييف، النشر الجزائري الحديث، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983، ص 102، 103.

سيما وأن الثورة بسنواتها الطويلة قد تركت آثارها على المجتمع الجزائري، ففرضت المحاور الاجتماعية نفسها على الكاتب. (1)

ويمكن القول أن فترة الستينيات مثلت مرحلة قاسية للمجتمع الجزائري الذي ورغم نيته للاستقلال إلا أنه ظل يعاني من مخلفات الاستعمار، ومن الجهل والامية، فكانت وظيفة المثقفين هي الحفاظ على المبادئ الثورية، والسير بها قدما إلى الأمام، والنضال يوميا على كل المستويات، وفي كل الظروف المتاحة من أجل تحقيق مكتسبات أخرى، أكثر تقدما وأكثر ثورية، هذه المكتسبات التي بإمكانها أن تسهم في بلورة الواقع الثقافي بالجزائر، إذ لا يمكن تصوّر واقع ثقافي جيد بكل معنى الجودة، بدون واقع اجتماعي معقول، تستلهم منه البنى الفوقية نسغ حياتها.

إذن الظروف القاسية أرغمت الواقع الاجتماعي أن يمشي بخطى رتيبة، لم تساعد لا على التغيير الجذري للذهنية البدائية والرؤية الميتافيزيقية ولا بلورة الواقع الثقافي، بحيث يمكن أن يحقق المطلوب منه تحقيقه، فقد كان الأمر جد طبيعي أن تغيب الرواية من الاستقلال حتى سنة 1987 حيث ظهرت رواية " صوت الغرام" لمحمد المنيع ولم تضاف الشيء الكثير سواء على المستوى الفكري أو الفني، ولكنها مع ذلك مزّقت ذلك الصمت المضروب حول الرواية العربية في الجزائر، ولكنها وللظروف نفسها التي ذكرناها بإيجاز فقد غابت الرواية عن الساحة الأدبية من جديد حتى سنة 1970، حيث ظهرت بكثافة، مصاحبة للتغييرات الاجتماعية والتحويلات الديمقراطية بكل انجازاتها الثورية، بل كانت الوجه الآخر، الفني طبعاً، لهذه التحويلات الثورية وهذا ما يجعلنا نقول أن الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة العربية - بعد الاستقلال - كانت بمثابة الوليد الشرعي الذي أنجبته التحويلات الثورية بكل تناقضاتها. (2)

<sup>1</sup> المرجع نفسه، ص 119-120.

<sup>2</sup> واسيني الأعرج، اتجاهات الرواية العربية في الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، د ط، ص 88.

## 2- أهمية موضوع المرأة في الرواية :

### أ- مكانة المرأة الجزائرية في المجتمع :

كانت المرأة الجزائرية في الموعد عبر التاريخ ، فشاركت الرجل في تحمّل أعباء الحياة وبنّت إلى جانبه وشيّدت ، وتصارعت مع هموم الدهر، وامتهنت مختلف الحرف وربّت الأجيال وشاركت حتى في الحقل السياسي فكان لها تاريخها الطويل والمتنوع الذي يتغير بتغيّر الظروف، وتقسم " أديب بامية " تاريخ المرأة الجزائرية في العصر الحديث إلى ثلاث مراحل :

- الفترة الاستعمارية .
- فترة التحرير .
- فترة الاستقلال .

ففي الفترة الأولى كانت المرأة مضطهدة، أو كانت تعامل أشبه ما يكون بالسلعة، وقد يكون لفترة الاستعمار تلك أثرها السلبي على معاملة الرجال للنساء، ذلك أن الاستعمار الفرنسي عرّف بقسوته على الأهالي، وهؤلاء ينقلون المعاملة نفسها إلى بيوتهم، ويحاولون أن يثبتوا وجودهم من خلال أسرهم وعائلاتهم، وحتى الذين كانوا يهاجرون إلى فرنسا ويحتكون بالمجتمع الغربي، يتصرفون بنفس السلوك المتحكم في المرأة، والسبب يعود إلى الطبيعة العامة للمجتمع الجزائري، الذي كان يتميز إلى حدّ بعيد بالمحافظة، وبالنظام الأبوي، حيث كان كبار السن لا يسمحون حتى بأقل درجة من التحرّر من قبل الرجال العائدين من المهجر، فطبيعة المجتمع تقتضي تحكّم الرجل في أمور الأسرة وسيطرته على المرأة ، كما أن حفاظ الرجل على شرفه جعله يبالغ في التشديد على المرأة، خاصة مع وجود الأجانب الغاشمين، يضاف إلى ذلك أن الفترة السابقة للاستعمار لم تكن لتعطي الحرية كاملة للمرأة ، فإن كل الظروف كانت ضدّ الأنثى .<sup>(1)</sup>

<sup>1</sup> صالح مفقودة ، المرأة في الرواية الجزائرية ، ط2 ، جامعة محمد خيضر ، بسكرة ، 2009 ، ص 17.

وفي هذه الفترة فُرض على المرأة حصار اجتماعي خانق، واعتبر ذكر اسمها في أي محمل بمثابة قلة أدب، بحيث عندما يذكر الرجل كلمة المرأة أو الزوجة يقول لمخاطبيه : " أكرمكم الله أو حاشاكم " كما فُرض عليها نوع من الحجاب لا صلة له بالإسلام أبداً ، وعاد ذلك بالتدهور، والتخلف عليها وعلى الأسرة والمجتمع .<sup>(1)</sup>

ثم مثلت الثورة التحريرية المسلحة التي انطلقت عام 1954 مرحلة التغيير العام ، حيث هبّ الشعب للكفاح بكل ما يملك وما يستطيع ويتساوى في ذلك الذكور والاناث، وقد أثبتت المرأة جدارتها في الكفاح بمساعدتها للرجل، وبحمل السلاح أيضاً، وهنا أتاحت للمرأة الفرصة في أن تعبّر عن نفسها، وتثبت قوتها للمستعمر وللرجل في الوقت نفسه، فتقبّل الرجل وجودها في عالم الكفاح، وبرزت صورتها المكافحة والمناضلة من خلال حمل السلاح أو القيام بأعمال أخرى كالتمريض والطبخ للمجاهدين ، هنا سمت مكانة المرأة حتى نُسجت حولها الأشعار وقيلت فيها الحكايات التي تتحدث عن بطولاتها .

أنت فترة الاستقلال عام 1962م، وفرح الشعب بهذا النصر المُبِين، وظنّ كل فرد أنه سيصل إلى ما يصبو إليه، لكن الواقع كان مريراً إلى درجة كبيرة ، فمرحلة البناء والتشييد لا تقلّ صعوبتها عن صعوبة مرحلة الكفاح المسلح، وهنا تعرضت المرأة لما يشبه خيبة الأمل، لأن المجتمع الجزائري عاد إلى صورته الأولى بعد سبع سنوات من الكفاح والتي عدّها استثناءً، بل ويمكن أن نقول: إنه ازداد إجحافاً في جوانب عدّة، خاصة في المناطق الريفية والقرى التي تحكمها الأعراف والتقاليد قبل القوانين، هذا رغم صدور "ميثاق طرابلس" و " ميثاق الجزائر" اللذين يُصان على ضرورة المساواة بين المرأة والرجل .

ويبدو أن السلطة الحاكمة في تلك الفترة؛ لم تذهب بعيداً في ميدان تحرير المرأة ومساندتها، وذلك لجملة من الأسباب يمكن إجمالها فيما يلي :

1- يحي بوعزيز، المرأة الجزائرية وحركة الإصلاح النسوية العربية ، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع د ط، د ت، ص

- الصعوبات التي تعاني منها البلاد وخاصة المالية منها، وضعت المرأة على الهامش كموضوع يمكن التفرغ اليه فيما بعد .

- الجيل القديم من النساء أنفسهن، لم يكن مدافعا عن تيار التحرر، وقد نقلن الفكرة ذاتها إلى بناتهن، وبذلك بقيت المرأة في وضعية أقل بكثير من الطموحات التي كانت قد رسمتها (1).

وظلت وضعية المرأة على هاته الحالة إلى زمن غير بعيد، حتى في سنوات السبعينات والثمانينات من القرن الماضي، لتندهور حالتها أكثر مع بداية التسعينات تزامنا مع مرور الجزائر بما يُعرف بالعيشية السوداء التي عانى منها كلالمجتمع الجزائري، تحت وطأة الإرهاب، الذي عاث فيها فساداً، وكما عانى الرجل من الخوف والقلق فإن المرأة هي الأخرى تعرّضت للإجفاف والاعتصاب والتجهيل أكثر أين كان يتمّ خطف النساء والحقاقهن عنوة بالجبال تحت مسمى - مساعدة الرجل في عملية الجهاد- ونظرا لخوف الأولياء على بناتهن فقد اضطروا إلى إجبارهن على مغادرة مقاعد الدراسة في سنّ مبكرة خاصة في المناطق الريفية والقريبة من الجبال، أين تتمركز هذه الجماعات الإرهابية، ومع نهاية التسعينات وبداية الألفية الجديدة؛ ومع صدور ميثاق المصالحة الوطنية وانتهاء البلبلّة في البلاد وعودة الأوضاع إلى الهدوء والأمان تمّ النظر إلى قضية المرأة، وضرورة تحررها مما لا يمتّ للدين بصلة، أي الأعراف التي فُرضت عليها دون مرجعية دينية، فتأسست المنظمات الحقوقية المدافعة عن المرأة، وانتبهت السلطات الحاكمة إلى قضاياها وانشغالاتها، ودعت إلى ضرورة المساواة بينها وبين الرجل في كثير من الحقوق والواجبات فاحتلت عالم الشغل في مجالات التعليم والصحة وحتى الزراعة والفلاحة وفي المراكز الحساسة في الدولة كالجيش .

وسُنّت القوانين التي حفظت للمرأة كرامتها، بحيث تشهد البلاد حالياً نمواً للوعي والنضج الفكري للمجتمع، بشتى أطرافه جعلته يدرك أن الدين الإسلامي ومنذ البداية قد بيّن

<sup>1</sup> صالح مفقودة، مرجع سابق، ص 19.

وبشكل واضح حقوق المرأة وواجباتها ودافع عنها وأن ما كان يمارس ضدها فيما سبق ما هو إلا جهل تحت غطاء الدين .

ويمكن أن نقول: إن المرأة حاليا تعيش أفضل أحوالها الاجتماعية، وقد أثبتت إمكاناتها في أن تكون " المرأة العاملة" والمرأة الأم، وربة البيت ساعية بذلك إلى خدمة المجتمع ككل.

### ب- توظيف العنصر النسوي في الرواية :

تحتل المرأة في الرواية نصيبا وافرا مثلما هو الشأن في الدراسات الأدبية الأخرى " حيث تمتاز معالجة موضوع المرأة في الرواية بالحرية في التناول والجرأة في الطرح وإعطاء التصور الذهني أو الصورة المثلى للمرأة كما يتخيلها الروائي " (1).

إن الرواية بشكل عام تطرح قضايا المجتمع وتعالجها، وتحاول الغوص فيها، فتصور ما يدور فيه في زمن من الأزمنة، وتصف كل الظروف المحيطة والقضايا التي تدور في أوساط الشعب، محاولة إيجاد حلول للمشاكل المطروحة، وإعطاء صورة واضحة عن الواقع المعاش، وبما أن المرأة مرتبطة بالواقع، فهي حاضرة في مختلف مجالات الحياة وهي رمز للمجتمع، وعليه فإن الرواية تطرح بشكل عام عدّة صور للمرأة، وللصراع الذي تعيشه، باعتبار أنها حقا تعاني، فهي عنصر يفتقر إلى كل عناصر امتلاك الذات والتصرف فيها، والتعامل ومع إمكاناتها وقراراتها وقدراتها على التفكير والاختيار، فهي تابعة للأب وملحقة بالزوج وفي كثير من الأحيان تخضع لضغط الأخ وهي مجبرة على الخضوع في كثير من المواقف على عكس الرجل، وبهذا تظلّ حاملة لهوية غير مستقلة بل هوية تتغير حسب مواقع المرأة (ابنة ، زوجة ، جدّة).

وبما أن للمرأة لغتها والتي هي نتاج ثقافتها وبنيتها البيولوجية والنفسية فإن لها أسلوبها وشخصيتها ولغتها الحوارية التي تتميز عن لغة الرجل والتي لطالما أفضت إلى نوع من الجمال الفني في الروايات ، وتكون المرأة في الرواية أشبه بالطاقة التوليدية التي تأتي محملة بدلالات مختلفة لتضفي على المتن الروائي نوعا من الجمالية والتشويق «فالأنثى تمثل سلطة

<sup>1</sup>صالح مفقودة ،المرجع السابق ، ص 10.

جمالية مغربية في العمل الروائي ، فهي نواة جاذبة مستقطبة لجميع الوحدات السردية ، كما أنها تتحول إلى وسم يطبع جسد النصّ فيعضد شكل البناء الروائي ويقيم هندسة»<sup>(1)</sup>

وبما أن موضوع البحث يتحدث عن صورة المرأة في الرواية الجزائرية الصادرة في السبعينيات فإن أول ما نلاحظه هو أن الرواية في تلك الفترة كانت من نسج الرجل أي أن الكتابة رجل والحكي امرأة فتحوّلت المرأة إلى موضوع ثقافي وراح الرجل يرسم المرأة وينقشها في صورة خيالية، حتى ترسخت وكأنما هي الشيء الطبيعي، وفي هذه الصور جرى تضخيم الجانب الحسي في المرأة إلى أن تحوّلت إلى مجرد جسد، ليس له من وظيفة سوى إثارة الرجل وإغرائه، وي طرح جون بيرجر في كتابه (طرق النظر) إفادات مزعجة عن صورة المرأة في فنون القرن العشرين، حيث غالبا ما تمّ رسم المرأة على أنها بضاعة جنسية<sup>(2)</sup>.

وحيثما تحققت السيادة التعبيرية للرجل من خلال صناعة الكتابة، راح يصوغ المرأة على الصورة التي تحلو له، ولم يكتف الرجل بتصويره المرأة حسب ظنونه عنها، بل إنه أيضا تولى التحدث بالنيابة عنها، ومن هنا فإن الرجل يكتب المرأة في لغته هو، وليس في لغتها ويستنتقها حسب منطقها، ويديرها حسب هواه فيها، فصارت مجرد موضوع أو أداة رمزية قابلة للتوظيف والترميز والتجميل الدلالي<sup>(3)</sup>.

إن الصفات التي تمتلكها المرأة سواء الجسدية أو العقلية كخفض الصوت والامساک عن الكلام والتصرف بأدب وحياء، وامتلاكها لميزة أنها الجنس اللطيف، جعل ما من بدّ أمام الكُتّاب سوى أن يوظفوها في رواياتهم ويغيروا في أدوارها ومكانتها فهي: البنت والزوجة والأخت والأم والخالة والعمة والجدّة والحماة، فكانتها محفوظة في المجتمع، ولذا لا يمكن كتابة رواية بحجم جيد من التشويق دون توظيف العنصر النسوي فيها، هذا إن لم نقل: إن الأمر شبه مستحيل.

1- الأخصر بن السائح ، سرد المرأة وفعل الكتابة ، دار التنوير للنشر والتوزيع ، الجزائر 2012 . ص 154.

2- عبد الله الغدامي ، المرأة واللغة ، المركز الثقافي العربي للنشر ، بيروت ، 2006 ، ص 30.

3- المرجع نفسه ، ص 35

فإن أخذنا على سبيل المثال رواية احتوت على قصة حب، فإن حركة الأنثى النفسية والحسية تكون مختلفة عن حركة الرجل، فصوت المرأة أو وجعها ينقل هذا الحب بمكوناتها الداخلية والخارجية بضجة تلازم القارئ وتحرك حواسه، فلطالما مثلت الأنثى عنصر الجذب، وطالما أدت دور التحفيز وتفعيل العملية السردية، فتوظيف الراوي لأساليبها ولغتها الحوارية وتصرفاتها من غضب أو بكاء أو فرح أو صراخ أو غبطة أو محبة أو اشتياق يضيف على كل الرواية نوعاً من الصدق في الطرح .

## ثانيا: مقارنة لصورة المرأة في الرواية الجزائرية الصادرة في السبعينات:

### 1/ السبعينات عقد الرواية الجزائرية:

تعتبر فترة السبعينيات مرحلة الولادة الثانية والأكثر عمقا للرواية الجزائرية المكتوبة باللغة العربية ، فقد عرفت الجزائر حركة تغيير جذري نتيجة التحولات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية فاستجاب الروائيون بطبيعة الحال لهذه التغيرات ، فكانت النتيجة أن اشتركت الروايات الصادرة في هذه الفترة في التركيز على نقطة مهمة تتعلق بالتعبير عن معاناة وطموحات الانسان الجزائري والعودة إلى الحديث عن الثورة التحريرية وربطها بما تعيشه البلاد في تلك الفترة ، كما أن الخطاب الروائي الذي تضمنته النصوص الصادرة في هذه الفترة وقع في التماهي مع الخطاب السياسي والإيديولوجي الذي أنتجه النظام بتبنيه ما يعرف بالاشتراكية لتحقيق العدالة الاجتماعية.

ويعتبر أدب هذه المرحلة ، بشكل ما امتدادا لأدب الثورة الوطنية وربما كان أكثر تطورا منه متجاوزا في الكثير من نماذجه المرحلة النقدية والحماسية إلى مرحلة أكثر تقدما وتحولاً ترسم بعضا من مقومات المستقبل<sup>(1)</sup>

فرواية " اللاز" مثلا للظاهر وطار جسدت وبكل دقة مشاكل الحركة الوطنية وضرورة إيجاد الحزب القائد بعيدا عن الشعارات التي تحتمي وراءها المواهب الهزيلة ، حيث لم يخضع للنمطية المعتمدة والتي تُظهر بطل الرواية كمحور للأحداث بكونه الشخص الذي يحارب الاستعمار بكل شجاعة ، إنما حاول توجيه النظر إلى التناقضات الداخلية التي كانت تحدث داخل الحزب الواحد والتي كانت تحاول قتل الثورة حين تكون القيادات المعول عليها جدّ هزيلة في المستوى الفكري والإيديولوجي .

والشيء نفسه قام به مرزاق بقطاش في روايته "طيور الظهيرة"<sup>(2)</sup> .

1- واسيني الأعرج، اتجاهات الرواية العربية في الجزائر ص 98

2- المرجع نفسه ، ص 90

كما نجد أيضا رواية " ربح الجنوب " لعبد الحميد بن هدوقة تثير الكثير من القضايا التي تتصل بالأرض والمرأة وينضال الأفراد من أجل الحياة والمستقبل ، حيث تناولت الرواية بدايات الثورة الزراعية وركزت على محاربة الإقطاع وعملت على طرح البديل وهو كذلك حال روايته الثانية "نهاية أمس" والتي تحدث فيها عن قضية الأرض أيضا (1) ومن خلال هذه النماذج نجد أن ظهور هذا السيل الروائي لم يكن سوى تجسيد فني لهذه المرحلة ولهذا الوضع المستجد الذي فرض وعيا أكثر تقدما وتطورا على القوى التي يهملها مستقبل الجزائر الاشتراكي.

ويمكن القول أن نتائج جيل السبعينات الروائية اشتركت في بعض الخصائص منها :

- إعلاء الجوانب الفكرية على الجوانب الفنية .
  - تبني الاشتراكية كمنهج في الكتابة الروائية .
  - اعتماد الموضوعية والابتعاد عن الذاتية واستبعاد الصدف والمفاجآت في المتن الروائي .
  - العودة للثورة التحريرية وإدراجها ضمن الأحداث وغالبا ما تكون كموضوع رئيسي.
  - الحضور المكثف لبعض الظواهر الاجتماعية خاصة الفقر .
  - اسناد دور البطولة للمثقفين وتهميش الشخصيات غير المتعلمة والمثقفة .
  - استخدام اللغة البسيطة ومزجها بالعامية في كثير من المواضع .
- ومما يجدر ذكره أن هاته الروايات تطرقت إلى موضوع المرأة وجعلت منها رمزا للكفاح والأرض وغير ذلك في كثير من المواضع فليس سرا أن أدباء هذه الفترة حاولوا خلق مجتمع بديل يدمر كل القيم البالية ويحقق العدالة الاجتماعية بين أفرادها تجاوبا مع التغييرات المعيشية والتطور الحاصل في العالم .
- وبتعداد بسيط للأعمال الروائية التي شهدت ميلادها هذه الفترة نجد:
- نار ونور، دماء ودموع ، الخنازير : عبد المالك مرتاض.

1- أحمد دوغان ، في الأدب الجزائري الحديث ص 93.

- اللالز، الزلزال، القصر والحواب، عرس بغل، العشق والموت في زمن الحراشي: الطاهر وطار.
- قبل الزلزال : علاوة بوجادي .
- طيور في الظهيرة : مرزاق بقطاش .
- ريح الجنوب، نهاية الأمس، بان الصبح: عبد الحميد بن هدوقة .
- ملا تذروه الرياح، الطموح: عبد العالي محمد عرار .
- الشمس تشرق على الجميع، الأجساد المحمومة: اسماعيل غموقات.
- جغرافية الأجساد المحروقة، وقائع من أوجاع رجل غامر صوب البحر: واسيني الأعرج .
- حب أم شرف : شريف شناتلية .
- باب الريح : علاوة وهبي .
- نجمة الساحل : عبد العزيز بوشفيرات<sup>(1)</sup>

والملاحظ على هذه العناوين أنها توحى بدلالات سياسية واجتماعية تنطلق من نفسية الأديب الذي أنجز ابداعا قائما على أساس رؤيته لواقعه بصورة فنية غاية في الجمال ، فقد يستعير بعض أدوات ورموز السياسة من أجل تبليغ رسالة ما وهكذا « كانت العلاقة بين الأدب والسياسة معقدة ليس للسياسة في الأدب أن تحصر بالمعنى التقني فذلك ينفي الأدبية، السياسة في الأدب تحصر بمعناها التاريخي ليمارسها الأديب وفق انتاجه ولكن بأدواته»<sup>(2)</sup> أما الاجتماعية فهي التي يعبر الأديب من خلالها عن نفسه كفرد اجتماعي بقصدية أو غير قصدية فهو ليس بمعزل عن الجماعة التي ينتمي إليها ، إذ يمثل « صوت شعبه ، يتنفس من خلاله أحلامه وأحزانه، فهو ملزم بالتعبير عن ذلك، لأن وظيفته الاجتماعية تتجلى في نهوضه بأعباء مجتمعه المعرفية والفكرية والتربوية»<sup>(3)</sup>

1- واسيني الأعرج ، مرجع سابق ص 111

2- نبيل سليمان، أسئلة الواقعية والالتزام ، دار الحوار للنشر والتوزيع ، سوريا ، ط1.1985 ص 92

3- المرجع نفسه ص 93.

ومن هنا سننطلق في استنتاج الروايات الجزائرية الصادرة في السبعينات محاولين الغوص في ثناياها لنجد ما جادت به أقلامهم حول المرأة وكيف عكسوا صورتها بصفتها فردا من أفراد المجتمع يؤثر ويتأثر بما يحيط به .

## 2/ أبعاد صورة المرأة في الرواية الجزائرية الصادرة في السبعينات:

أ- **البعد الإنساني** : لقيت قضية المرأة تناولا واسعا من طرف الأدباء الجزائريين في رواياتهم الصادرة في مرحلة السبعينات فالباحث في روايات هؤلاء الأدباء يلحظ أنهم صوروها من عدّة جوانب ونظروا إليها بعين العطف في محاولتهم لخلق المجتمع البديل الذي يساوي بين جميع أفرادها ، فكانت نظرهم مليئة بأسمى معاني الإنسانية .

**1: صورة المرأة الأم** : الأسرة هي أصغر وحدة انسانية تتكون أساسا من الزوج والزوجة والتي تصبح أما بمجرد الإنجاب ، وما يمكن أن نلاحظه أن صورة الأم في الرواية الجزائرية على العموم لا تتواجد بكثرة لكنها تظهر كشخصية ثانوية ، إذ تظهر كجامع بين الأبناء في الأسرة ، وتشير إلى عدّة دلالات منها : الخصب والنماء حيث تقوم بإنجاب الأولاد وتربيتهم والجمع بينهم إضافة إلى القيام بواجباتها المنزلية الأخرى والتي لا نجد لها وصف دقيقا في الروايات الصادرة في فترة السبعينات على العموم ، فنجد صورتها في رواية "بان الصباح" لابن هدوقة متجلية في الأم كلثوم والتي هي أم لعدة أبناء يختلفون في توجهاتهم وميولهم ، إلا أنها لا تتفق مع أحد ضد الآخر ، يقول **بن هدوقة** : العجوز كلثوم لا تبحث عن الظالم من بين أولادها هي تود الوئام قبل كل شيء<sup>(1)</sup> إذن فقد ركز الأدباء على الجانب العاطفي للأم من حنان ومحبة وعطف على أبنائها ، وكما هي أم هي حماة أيضا وفي التصوير الثاني نلاحظ وجود سلطة الأم على ابنها وزوجته أين تحظى بالاحترام وتمارس النفوذ ، وهذا يتجلى أيضا في رواية "بان الصباح" أين تهدد العجوز كلثوم كنتها بالخروج من المنزل رغم أن هاته الأخيرة هي أم لأربعة أبناء<sup>(2)</sup>

1-صالح مفقودة ، المرأة في الرواية الجزائرية ص 160.

2-المرجع نفسه ص 164.

ومن هنا نلاحظ أن دور الأم أو صورتها في الرواية الجزائرية تتواجد بشكل ضئيل فهي تمثل عنصرا ثانويا.

**أ2: صورة الزوجة:** الزواج ظاهرة اجتماعية هامة لتكوين الأسرة وبقاء النوع بصورة منتظمة ، وبالنسبة للمرأة يرتبط الزواج ببلوغها ونضجها الجسمي ، وإلى زمن غير بعيد كان سن التاسعة أو العاشرة كافٍ لأن نرف المرأة إلى زوجها خاصة في المجتمعات الريفية غير المتعلمة وهذا ما صورته الرواية الجزائرية الصادرة في السبعينات بطبيعة الحال فنجد الزواج المبكر للفتاة المذكورا في رواية "الزلزال" للطاهر وطار أين يظهر البطل عبد المجيد بولرواح وهو يسير في قسنطينة يشاهد فتاة في حوالي العاشرة من العمر مكتحلة بيضاء تحرق فيه فيقول : " المرحومة عائشة زوجتي الأولى كانت في سنها تشبهها إلا أنها لا تعرف التبرج مثلها (1)

وبطبيعة الحال فإن وطار هنا يورد فكرة طبقة خاصة من الناس هي الطبقة التي تنظر إلى المرأة كسلعة ووسيلة وسلعة استمتاع ، تربط ربطا وثيقا بين المرأة والجنس وبذلك لا يُنتظر منها سوى سن البلوغ الذي يكتشف فيها مبكرا ، وتعتمد تلك الطبقة في افكارها الاستغلالية على الدين لتدعيم موقفها (2)

ومن المعروف أن المجتمع الجزائري ظل إلى زمن قريب يعتبر الحديث عن الزوجة أمرا عيبا كما يكون الزوج هو الأمر النهائي في البيت ولا يستشير زوجته في شيء بل تكون مجبرة على الطاعة في كل الأحوال ، فالمرأة ظل الرجل تتبعه في حركاته ومواقفه ولا حرية شخصية لها ، وهذا ما يصفه محمد عبد العالي عرعار في روايته ما لا تذروه الرياح أين يصف ربيعة بالفتاة الراضخة الحية وهي التي هجرها زوجها البشير وانسلخ عنها وعن وطنه وعن حضارته حيث يقول : " وترضخ لكل ما يأتيها ويصيبها، لا ترفع يدا ولا صوتا ، تكِنّ وتثنّ وتصبر وتصمت ولا تفعل شيئا آخر " (3)

1- الطاهر وطار، الزلزال، الشركة الوطنية للنشر، د ت ص 125

2- صالح مفقودة، مرجع سابق ص 270 .

3- المرجع نفسه ص 74 .

ولأن المرأة تابعة لزوجها في خادمة ومطبعة له ، فلا رغبة لها سوى إرضاء زوجها وأن تكيف نفسها للسهر على راحته وهذه الصورة تظهر واضحة في رواية عبد العالي عرعار أيضا حيث يجعل بطله البشير يتذكر زوجته حين انحنى ليدخل رجله في حذائه لأن زوجته ربيعة كانت تساعده كل صباح على ارتداء حذائه : " فحسب رأيها إن الأعمال التي تظهر مدى طاعة الزوجة لزوجها هي الركوع عند قدميه ومساعدته ، وقد كانت تفعل ذلك بكل ارتياح وسرور " (1).

إضافة إلى هذا فقد صورت الرواية الجزائرية الصادرة في السبعينات ظاهرة تعدد الحريم وهي الظاهرة التي كانت رائجة إلى حد ما في المجتمع الجزائري في ذلك الوقت ، أين كان يُنظرُ إلى المرأة على أنها وسيلة للإنجاب والمتعة فيتزوج الرجل القادر على تعدد الزوجات حسب ما يسمح به الشرع لتحقيق إحدى هاتين الغايتين أو لكون امرأته عاقرا أو لغرض التحكم في المرأة عن طريق ضررتها وبذلك يكون الرجل في موقع قوة أين يمكنه الاستغناء عن إحداهن إذا أظهرت بعض التمرد ، وهذا ما صوره الطاهر وطار في روايته العشق والموت في الزمن الحراشي حين رسم لنا صورة امرأة تتاجي اللاز وقد طلقها زوجها بسبب أنها لم تتجب سوى الإناث ، يقول الكاتب على لسان المرأة : " لم يتزوج بعد لكن بلغني أنه لا يخرج من دارها ، زوجة الحركي الخائن الذي ذهب إلى فرنسا بعد أن قتل ما قتل من إخوانه ، زوجة الخبيث هرب عليها دون أن يفك عصمتها وزوجي دخل عليها بلا فاتحة ولا عقد " (2).

وكانت المرأة الجزائرية ولا زالت عند ذوي العقول الصغيرة وحدها من تتحمل مسؤوليه عدم الانجاب ، تماما كالمرأة التي تتجب الاناث فقط، وهذا ما يصوره عبد المالك مرتاض في روايته الخنازير فيقول في معرض الأحداث عن امرأة يحدثها زوجها الثاني فيقول : "أنت امرأة طلقك الأول لماذا ؟ عاقر ، قالوا ذلك ، ثلاث سنوات يضاجعك ، يكفي أكثر من ألف

1- المرجع السابق ص 77

2- الطاهر وطار ، العشق والموت في الزمن الحراشي ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع-الجزائر ط2 .1982. ص 84.

ليلة وليلة معه بدون فائدة،.. ربما هو أناني ، كم طلبت إليه زيارة الطبيب ؟ أنا أتسكّن ؟  
أبدا ، العيب عيبك أنت ، أنت عارفة ضاجعك ألف ليلة وليلة ، تريدان أكثر ؟ .." (1)

**ب- البعد الاجتماعي :**

**ب-1 صورة المرأة المضطهدة :** كما سبق وتمّ ذكره ، فإن المرأة بشكل عام عانت من اضطهاد المجتمع وقهره ، فاتسمت حياتها بالانتمية والخضوع ، فهي لا تعيش لنفسها بل تعيش لغيرها سواء أكانت بنتا تخضع لوالدها أو كانت زوجة تابعة لزوجها أو حتى ارملة أو مطلقة فإنها لم تحظ على الإطلاق بالمعاملة اللائقة ، فلم تكن صاحبة موقف أو ذات كلمة بل تكمن قيمتها في الإنجاب فعاشت ظروفًا شاقة ومزرية ، وفُرضت عليها عادات وأعراف بعيدة كل البعد عن الدين والحضارة واعتُبر ذكر اسمها في أي محفل بمثابة قلة أدب بحيث عندما يذكر الرجل المرأة يقول لمستمعيه "حاشاكم" أو "أكرمكم الله" ، كما أنها تتعرض للضرب والسبّ والشتم في كثير من الأحيان وليس من طرف الزوج فحسب ، بل من قبل أبنائها أيضا وهذا جسده الطاهر وطار في رواية اللّاز هذا الأخير الذي تعاني والدته الأمرين معه من عصيان وعنف ، فمن مشاغباته العديدة قوله لأمه : "اسمعي يا خنزيرة بنت الخنزير...لو أخرج ولا أجد مائة دورو أحطم رأسك " .

وحتى عندما وضعه شامبيط القرية في السجن وحاولت أن تهدئ من روعه وثورته ، وأن تجلب عطفه وحنانه بقولها: "لماذا يا اللّاز يا بني؟ لماذا...ألست أمك، تسعة شهور وأنا أعاني " فيرد عليها: " وهل اقترفت أنا ذلك يا عاهرة ؟ (2)

كما تظهر صورة المرأة المضطهدة في رواية **مالا تدرّوه الرياح** لمحمد عبد العالي عرعار أين يصف البشير وتخيلاته لوالدته وهي توزع قطع اللحم فوق قصعة الكسكسي فيقول : "...بيد نحيلة ..حملت القصعة الخشبية من يديها ورفعت رأسها قليلا لتتجنب بوجهها

<sup>1</sup>مصطفى فاسي، دراسات نقدية في الرواية الجزائرية، دار القصة للنشر، د ط ، د ت، ص 57

2- بشير بويجرة محمد، الشخصية في الرواية الجزائرية (1970-1983)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د ط ، ص 113 (د.ت).

البخار الساخن المتصاعد فكانت في هذه الصورة تشبه ساحرة شمطاء تحرق البخور بين يديها ، وتقرأ في السحاب المتصاعد آيات الغيب " (1)

ويتجلى الاضطهاد الذي تتعرض له المرأة أيضا في رواية **الزلال للظاهر وطار** أين يصف طباع **بولرواح** الشخصية التي تركزت عليها أحداث الرواية فيقول : " أما خلال الثورة فقد تزوج بفتاة صغيرة في سن التاسعة ثم سافر إلى تونس للدراسة، وعندما عاد وجد أباه قتلها بعد أن ضاجعها... ثم تزوج بثانية لم ينجب منها أطفالا فهربت مع ابن عمها إلى فرنسا وعاد للزواج مرة ثالثة ثم قتلها لعدم الانجاب متزوجا بعد ذلك بابنتها أيضا ... ، ثم عاد وتزوج بامرأتين دفعة واحدة ، فلم تتجبا وهربتا أيضا ... " (2)

وما نلاحظه هنا هو أن الكاتب رسم صورة عن الاضطهاد الذي تتعرض له المرأة من قبل الرجل فهي تخضع له وتطيعه دون حتى أن يراعي مشاعرها كإنسان.

## ب-2 صورة المرأة الثورية :

تظهر هذه الصورة واضحة في رواية **نار ونور لعبد المالك مرتاض** من خلال شخصية فاطمة التي ظهرت جذابة ومؤثرة فيمن حولها وتطورت أهم أحداث الرواية بفضلها حيث تقول فاطمة عن النضال: " الإنسان اللبق يخلق السعادة من لا شيء ويستهزئ بالشقاء ويتحدها، على أن الذي لا يفهم معنى الحياة المتشائم إن شئت، أو الفاشل في الحياة إن شئت أيضا، تجده شقيا أبدا، فهو حتى حين تُقبل عليه السعادة يحسبها شقاء فيشقيان السعادة يا سعيد كامنة في قلوب الناس أصلا، حتى إذا ما ظفرت بمن يثيرها من مخبئها استنارت...".

كما تظهر في الصورة أيضا في رواية **"بان الصبح" لابن هدوقة** من خلال شخصية دليلة والتي لم يقدم الكاتب قصة حبها ببطل الرواية كريمو كسابقه الذين يقدمون المرأة في صورة المخلصة للحب، والرجل في صورة العابث اللاهي والذي على المرأة تحمل هجرانه لها وتركها لمصيرها التعس، إنما صورها في صورة فتاة متمردة ثائرة تتصرف بكامل وعيها

1- عبد العالي عرعار، ما لا تذروه الرياح، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط 08 (د.ت)

2- بشير بوجويرة محمد ، مرجع سابق ، ص 148

وكامل إرادتها حتى بعد حملها غير المشروع من كريمو فإنها تحملت مسؤولية الأمر، وتظهر هذه الشخصية ثائرة في كامل الرواية، وتري أن مشاكلها متأتية من سبب واحد، وهو كونها امرأة في مجتمع الرجال، أي يأتي دورها في الدرجة الثانية وتظهر ثورتها على عالم الرجال أثناء مناقشتها لكريمو مناقشة حادة تقول: " أتدري فيم أفكر؟ ولم أنا في هذه المرارة؟ لأنني امرأة، وضعي كامرأة في مجتمع الرجال هو ما يحزنني..."(1) ، ورغم هذا الطرح لهذه الثائرة التي ترفض الانصياع للرجل بل وتتحدى المجتمع بأن تشمل مثلا، وأن تتعزل عن بيتها العائلي لتسكن بمفردها، إلا أن ابن هدوقة لم ينتصر لهذا النموذج من ثورة المرأة، بل وظف شخصية أخرى في هذه الرواية وهي شخصية نصيرة المترنة عكس دليلة المنهورة، فنصيرة تتصرف بحرية إلا أنها تبين لدليلة أن "الثورة ليست سكرا ولا وسيلة لإشباع الجنس" (2)

### ج- البعد النفسي :

الرواية لا تقدم الصورة الخارجية للموضوع بل تتعمق في النفوس، إنها تقدم شبكة من العلاقات التي تتألف- حسب ما يذكره محمود كامل الخطيب- من بشر وعادات وطبقات وقيم وصراعات..الخ.

إنها حياة البشر المادية والفكرية ، ومعنى هذا أننا حين نكون بصدد دراسة رواية فإننا نكون إزاء مادة غنية ومعقدة ، تشمل البشر في علاقاتهم مع بعضهم ، وفي علاقتهم مع الطبيعة ، وتشمل الوصف الخارجي كما تشمل الوصف الداخلي، كل ذلك بأسلوب متميز جمالي، إننا نكون إزاء واقع جديد ، ومن ثمة فالعمل الروائي يخلق هذا الواقع الذي يكون بالنسبة إليه مجهولا ومحجوبا، وهو ما يجب إدراكه لأنه لا يقبل التعبير عنه بأشكال معروضة ومستهلكة (3).

ومن هنا فإن الرواية باعتبارها نموذجا يحاكي الواقع من كل جوانبه فهي تحاكي أيضا ما يختلج في النفس من أحاسيس، كما على المؤلف أن يربط الشخصية بجوانبها السيكولوجي

<sup>1</sup> مصطفى فاسي ، دراسات في الرواية الجزائرية ص 30.

<sup>2</sup> عبد الحميد بن هدوقة -بان الصبح، المؤسسة الوطنية للكتاب، ط 2 ، ص 187.

<sup>3</sup> صالح مفقودة ، المرأة في الرواية الجزائرية ، ص 34.

بشكل متقن، فالأحداث التي تقوم بها يجب أن تكون منسجمة مع طبيعتها النفسية والمزاجية، واعتماد الشخصية على الصفات السيكولوجية يجعل منها شخصية مستقلة عن التبعية للحدث أي أن تتميز عن بقية الشخوص. (1)

إن الشخصية الروائية لا تكتمل إلا بعد نهاية العمل الروائي حيث تُقدّم للقارئ بحيث يستطيع أن يكون عنها صورة كاملة وفقا لمصادر خارجية ثلاثة وهي:

- ما يخبر به الراوي .
- ما تخبر به الشخصيات ذاتها (التعرف الذاتي) .
- ما يستنتجه القارئ عن طريق سلوك الشخصيات.<sup>2</sup>

ولا يمكن بأي حال من الأحوال دراسة الحالة النفسية التي تمر بها الشخصية في الرواية إلا من خلال تحليلها بالإجابة عن عديد الأسئلة : من هي هذه الشخصية ؟ نشأتها وبيئتها ، ذكاؤها ، ثقافتها ، الجانب الانفعالي والوجداني لها ، مزاجها ، انفعالاتها ، طباعها وسلوكها ماذا تريد؟ غايتها في الرواية، هل هي سامية أم دنيئة ؟ هل هي سوية أم لا ؟ ما دوافعها ؟ هل هي نبيلة أم وضيعة؟ ما وسائلها؟ هل هي شريفة وواضحة، أم حقيرة ومثلونة ؟ ثم عرض أهم مواقفها وأعمالها في الرواية، وتحديد طبيعة علاقاتها بمن حولها سواء أكانت علاقات وئام أم تصادم بسبب اختلاف الغايات والمآرب.

ويمكن معرفة ودراسة الجانب النفسي للشخصية والذي يظهره الكاتب من خلال إبراز الصراع النفسي ويظهر ذلك في أشكال المونولوج المختلفة والتي يمكن تقسيمها إلى الأنواع التالية :

- 1- المونولوج الداخلي المباشر .
- 2- المونولوج غير المباشر .
- 3- وصف الوعي أو تيار الوعي .
- 4- مناجاة النفس .

<sup>1</sup> المرجع نفسه ، ص 216

<sup>2</sup> نفسه ، ص 217.

## 5-التداعي .

يتميز النوع الأول بسيطرة ضمير الغائب والمخاطب والمتكلم في اللحظة الواحدة ، مما يجعل المونولوج في هذه الحالة أشبه بالحلم، أما المونولوج غير المباشر فيتسم بحضور الراوي وتدخله بين الشخصية الروائية والقارئ، ويركز الوعي أو تيار الوعي عمّا يدور في دخيلة الشخص، ومناجاة النفس هي عملية نقل ما يجري في النفس بصورة أقرب إلى الموضوعية ، وتكون الشخصية هي المرسل والمتلقي في الان نفسه، أما النوع الأخير من أنواع الحوار الداخلي فهو التداعي الحرّ أو تداعٍ يعتمد على الذاكرة ويقوم على استعادة ما حدث للشخصية، أو ما سمعته أو رأته .<sup>(1)</sup>

ومن المعلوم أن البنية النفسية للمرأة تختلف عن البنية النفسية للرجل ، حتى إننا نجد تناقضات بينهما في الحياة الاجتماعية ، وقد اثبتت الدراسات وجود اختلاف كبير بين الجنسين خاصة من ناحية الشعور و اللاشعور ، لقول (بيار داکو) في كتابه ، "المرأة؟ بحث سيكولوجي في الأعماق" : « المرأة ترى العالم على الغالب على أنه مجموعة من الأسر، هي صديقتها أو على خلاف معها، تحبها أو لا تحبها إنها سياسة العاطفة الشخصية»<sup>(2)</sup>

وعليه فإن إبراز الجانب النفسي للمرأة في الروايات يمكن أن يوظفه الأديب على أساس الحالة الاجتماعية التي جعل شخصية الأنثى تعيشها .

ويمكن أن نمثل للمونولوج غير المباشر بشخصية ربيعة زوجة البشير في رواية "ما لا تذروه الرياح" لمحمد عبد العالي عرعار، أين يصف الكاتب حالة الخوف التي تعيشها هذه المرأة مبرزا الأفكار التي تجول في رأسها بلسانه وما يدب في نفسها من قلق/ يقول: «إن

<sup>1</sup> صالح مفقودة ، المرأة في الرواية الجزائرية ، ص 212.

<sup>2</sup> محمودي هاجر ، المرأة والمدنية في رواية طوق الياسمين لواسيني العرج ، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر ، كلية

الآداب ، جامعة، محمد خيضر بسكرة -2015 ، ص 23 .

زوجته الان ترجف لا شك أن الدم قد فرّ من وجهها الجميل...، إن ربيعه واقفة وراء الباب تختلس النظر من مدخل الباب ، آه لو تعرف ما سيحدث الآن»<sup>(1)</sup>

ويكمل وصف حالتها النفسية فيقول : «إن أوصالها ترجف، وجلدها يتقلص، إنها الآن فريسة للخوف والفرع ، تختفي وراء الباب الموصود لا تستطيع أداء أمر ...لقد أوصاها بلقاسم أن تمكث في مكانها ولا تتحرك، فإن الجنود الفرنسيين بصفة عامة ، ينتهزون الفرصة للاعتداء»<sup>(2)</sup>

أما تيار الوعي فيظهر في رواية " بان الصبح" أين يصف عبد الحميد بن هدوقة ما يدور داخل نفسية دليلة التي تعيش نوعا من التعاسة والانفصام في الشخصية تقول : «أنا أحيا حياتين ، أحيا بشخصيتين ، شخصية من تصميم أهلي وأبي على الخصوص وشخصية من تصميمي أنا ، ولست سعيدة لا بالأولى ولا بالثانية ، ولست أجد نفسي لا في هذه ولا في تلك»<sup>(3)</sup>

ويصور الكاتب اسماعيل غموقات شخصية الفتاة رحمة في رواية "الشمس تشرق على الجميع" التي تبحث عن التحرر، وهذا ما نلحظه في تصرفاتها وأحاديثها مع غيرها ويصفها بأنها تعيسة للغاية بل وأكثر من اللازم، وهي تحاول معرفة الفرق بينها وبين زميلاتها مثلا، وهنا نجد مونولوج النفس أين تتحدث رحمة إلى ذاتها «جميعهم يعيشون سعداء، غير حافلين بشيء، ما عداك! فأنت تهتمين بالأخلاق وتعملين ألف حساب للمستقبل»<sup>(4)</sup>

وما تجدر الإشارة إليه أن أعمال عبد المالك مرتاض لا يمكن استخلاص البعد النفسي للشخصيات منها فهو يركز على قضايا الناس ويعالج الأفكار بالدرجة الأولى ، وهما يجعل رواياته خالية من كل وصف مادي أو نفسي إلا في بعض المواقف وهو ما تمثل له

<sup>1</sup> عبد العالي عرعار، ما لا تذروه الرياح ، ص 13 .

<sup>2</sup> المصدر نفسه ، ص 16 .

<sup>3</sup> عبد الحميد بن هدوقة ، بان الصبح ، ص 06

<sup>4</sup> محمد مصايف ، الرواية العربية الجزائرية الحديثة بين الواقعية والالتزام ، الشركة الوطنية للنشر ، الجزائر ، 1983 ، ص

بشخصية فاطمة في رواية "تار ونور" التي نلاحظ تدخل أفكار الأديب في كلماتها وطريقة حوارها أي أنها شخصية مفرغة من الأحاسيس ولا نعرف عنها سوى أنها ثورية ، متفائلة ومناضلة (1) .

إذن انحصرت نفسية المرأة في الرواية الصادرة في السبعينات بين الاضطراب والخوف والقلق والرغبة في التحرر والتفائل ، كما توجد بعض الشخصيات الميؤوس منها أي المتشائمة .

#### د - البعد الجسمي

تفنن الروائيون الجزائريون في وصف جسد المرأة حتى أنهم غالبا ما خاضوا في أدق تفاصيله وحتى من جانب ما ترتديه من ملابس وحُلي ، فوصفوا عيونها وشعرها وجسدها بطوله وعرضه ولونها سواء أكانت سمراء أم حمراء أم بيضاء ، تعميما وإفرادا ويظهر الطرح التعميمي في رواية "نهاية الأمس" لابن هدوقة حين يصف مجموعة من النساء الريفيات يقول: "كنّ كحيلات الأطراف قرمزيات الشفاه ، رشقات باسقات (2)، والملاحظ على هذا الوصف هو السرعة والتعميمية لكن نجد نماذج أخرى متأنية مفصلة في وصف جسد المرأة ويتغنى الروائيون في هذه الحالة بمفاته ، فمثلا وصفوا شعر المرأة العربية الذي يكون في الغالب طويلا وحالك السواد وبالنسبة للعين فإن جمالياتها أساسا تتجلى في السواد والاتساع وكذا الحواجب ، وقد وصّف الطاهر وطار الفتاة الجميلة في رواية العشق والموت في الزمن الحراشي بقوله : " ...هذه الفتاة الرائعة ذات العينين الساحرتين والبسمة القاتلة ...".

كما وصفوا المرأة الأجنبية أيضا لكن ما يُعاب على الكاتب محمد عبد العالي عرعار هو أنه أحدثَ مقارنة بينها وبين المرأة الجزائرية وانتصر للفرنسية فرانسوازوبالغ في إطرائها حيث يقول : " وصبّت الحليب في الفنجان فانساب صافيا يتصاعد منه البخار بشدّة ، بخار ساخن شفاف أحاط بوجه فرانسواز ، وانساب في خصلات شعرها المقصوص بطريقة عصرية

<sup>1</sup> المرجع نفسه ، ص 175 ، 176 .

<sup>2</sup> صالح مفقودة ، مرجع سابق ، ص 177 .

...وغياب في فمها المنعرج قليلا، وفي منخاريها الصغيرين الدقيقين ، فجعلها أروع جمالا وأقوى سحرا وفتنة " (1)

ولا يخفى على أحد أن صدر المرأة من أساسيات أنوثتها ، ولذلك فإن الرواية الجزائرية الصادرة في السبعينيات لم تتطرق إلى وصف المرأة دون الحديث عنه ، فقدّموا له وصفا فيما يثير شهوة الرجال أي أنهم وظفوه كرمز للإغراء وليس كدوره الطبيعي المتمثل في الارضاع كما هو حال **ابن هدوقة في " ريح الجنوب "** حين تحدث عن إغراء نفيسة لرابح الراعي بارتفاع وبروز نهديها، يقول : " وسذاجة نفيسة أكدها لديه ابتسامتها وهي تحدته ، وأكدتها لديه كذلك الكيفية التي جعلت بها نهودها تكاد تشقّ الفستان " (2) .

إضافة إلى هذا فقد وصفوا أيضا ما ترتديه من ملابس وحلي فيصف ابن هدوقة المرأة صاحبة الحمام في رواية **بان الصبح** بقوله : "...تتزين بقلادة ذهبية غليظة تتفرع منها سلاسل صغيرة برؤوسها ميداليات من قطع العشرين ... " (3)

ويأخذ الوشم عند المرأة نصيبا من الوصف في الرواية الجزائرية، فمن المعلوم أنه كان رائجا عند النساء في تلك الفترة بأشكال هندسية مختلفة من خطوط وزخارف نجمية ودوائر ومعينات وغيرها وقد استخدمته الجزائريات للتزين ولا يزال إلى حدّ الان يغطي وجوه النساء الكبيريات سنا.

أما الرواية الجزائرية في لا تقف عنده لاعتباره وسيلة زينة ، بل بصفته رمزا لدلالات نفسية وحضارية ، ويتميز **ابن هدوقة** عن غيره من الروائيين بإشارته للوشم في أجساد النساء كما في رواية **"تهاية الأمس"** : "تتظر المرأة إلى وشام بساقها، يذكرها بمن وشم لها ذلك الوشم، وتفكر في صباها أو في حياتها الجافة منذ أن فارقها زوجها، لا شك أنها تفكر في كل ذلك، إن من في سنها وحالها لا يحيا بالأمل ولكن بالذكريات . (4)

<sup>1</sup> بشير بويجرة محمد ، مرجع سابق ، ص 135 .

<sup>2</sup> عبد الحميد بن هدوقة ريح الجنوب.دار القصة للنشر ، 2012 ، الجزائر ، ص

<sup>3</sup> عبد الحميد بن هدوقة، بان الصبح ، ص56.

<sup>4</sup> صالح مفقودة : المرأة الرواية الجزائرية ، ص 183.

### ثالثا: رمزية المرأة في الرواية :

إذا كان الأدب عموما وثيق الصلة بالواقع والرواية أكثر ارتباطا بهذا الواقع فإن ذلك لا يعني أن الرواية هي مرآة للطبيعة فحسب ، إنما هي تصور الواقع الحاضر وتتجاوزه الى أبعاد مثالية فتطرح أفكارا وعواظفا بطريقة غير مباشرة .

" ومن ضمن ما يتوسل به الروائي لطرح قضايا المرأة ، وفي هذه الحالة لا يكون هدف الكاتب تصوير المرأة تصويرا حسيًا فحسب ، بل يتخذها رمزا لشيء آخر ، أي أن الروائي قد يجسد بعض الأمور المعنوية في صورة حسيّة تأخذ شكل المرأة وعندها يصير هذا الرمز مجسما ، وبمثابة قالب نصي فيه المعاني " (1) .

إن استخدام الرمز ليس جديدا في الأدب العربي بل موجود منذ القدم في الشعر الجاهلي وفي القرآن الكريم وفي كتابات الأمويين والعباسيين وظل مرتبطا بالأدب الى يومنا هذا ولكن الاهتمام به تعاضم في هذا العصر فصار السمة البارزة في الأدب عامة وفي الشعر خاصة ، نظرا لغنى الحياة المعاصرة ، وزخمها بالأفكار والانتاج وتضارب التيارات ، كما شجّع على استخدام هذه الطريقة في التعبير ظهور مذاهب أدبية تعتمد الرمز للتعبير ومن أهمها الرمزية .

" والرمزية مذهب أدبي ظهر في بداية السبعينيات من القرن التاسع عشر وعرفت كمدرسة عام 1986 ، وقد قامت هذه المدرسة فلسفيا على تعاليم متعلقة بعالم المظاهر وما يقابلها من عالم الماهية الخفية ، كما قامت على نظريات (شوبنهاور) و(نيتشه) والتي ترى في مجموعها أن العالم ما هو إلا انعكاس للعالم الخفي الذي لا يمكن بلوغه إلا عن طريق الرمز ، ونجد هذه الأفكار من قبل في الفكر الأفلاطوني فهو القائل : " الأشياء التي يقع الحسّ عليها هي ظلال وأوهام ترمز الى حقائق مثالية " (2) .

<sup>1</sup> صالح مفقودة ، مرجع سابق ، ص 139.

<sup>2</sup> المرجع نفسه ، ص 140.

وقد قامت هذه المدرسة على تعاليم متعلقة بعالم المظاهر الخفية حيث اختصت بمفاجأة الأسلوب القائم على الوضوح والدقة والمنطق والتفكير المجرد والمعالجات الخطابية والمباشرة والشروح والتفصيلات... إلى الإيحاء والتعبير غير المباشر .

وعلى العموم " لا يمكن دراسة مفهوم الرمز على انفراد ذلك أنه مرتبط بمصطلحات أخرى كالدليل والتأويل والاستعمال والاستمتاع، والمجازات والصور البيانية والمحاكاة والجمالاللفني والأساطير والمشاركة والمثابفة والتكيف والنقل فهو الصلة بين الذات والأشياء فالإثارة النفسية تتولد عن طريق الاحساسات لا عن طريق التصريح والتسمية " (1)

والأديب بتوظيفه للرموز يحاول البعد عن سطحية الفكرة أملا في الوصول إلى التداعي الحي للمعاني والرغبة في إثارة المتلقي، ويتبع الخطوات التالية في صناعة الشخصية الرمزية وما يهمنها منها هو رمزية المرأة :

### 1- دلالة الاسم:

أي أن يختار للمرأة اسما يتساير مع دلالاته فيُعدُّ هذا الاسم مفتاحا لفهمها ، فمثلا اسم ريحة يدل على الريح واسم خيرة يرمز إلى الخير .

### 2- التركيز على صفة أو مجموعة من الصفات :

يركز الأدباء في الشخصية الرمزية على صفة واحدة أو مجموعة من الصفات تتميز بها الشخصية الرمزية ، وتكون تلك الصفة من أهم مميزاتها .

### 3- عدم الاهتمام بالوصف الحسي الخارجي :

لا يهتم الروائي في الشخصية الرمزية بالناحية الجسدية الفيزيولوجية ، فما يهيمه من الشخصية هو ما ترمز اليه من أفكار وقيم ولذلك فإنه يركز على الوصف الاجتماعي أو النفسي أكثر ، ثم إن الشخصية الرمزية قد تتحول وقد تتداخل عدّة شخصيات وتتبادل المواقع ومن ثمة لا يكون الوصف الفيزيولوجي مناسباً .

<sup>1</sup>تزيقات تودوروف ، نظريات في الرمز ، ترجمة محمد الزكراوي ، ط1، توزيع مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت، 2012 ، ص 59.

**4- الغموض:**

الشخصية الرمزية غامضة لأن من طبيعة الرمز الغموض وهو يتعلق بالطرفين أي الشخصية الرامزة والشيء المرموز له، مما يسمح بتعداد التفسير واختلاف الدلالات ولكن دون التناقض فيما بينهما بل تسير في اتجاه واحد .

**5- المرأة رمز الخير:**

تبيّن لنا أن الأدباء قد ربطوا بين المرأة وبين الجانب الخيري المتمثل في أحلام الجماهير بالسعادة ومستقبل البلاد كما رمزوا الى الوطن وبذلك فإن المرأة لديهم مقترنة دوما بالخير والحب والأمل ، وهذا يدل على محبة وتقدير المرأة غير أن هذا الأمل والحب مهدد على الدوام من طرف أعداء الشعب ولذلك فإن تلك الأهداف قد تصاب بالأذى كما تصاب حقوق المرأة في المجتمع وتهان كرامتها بسبب العقلية المنغلقة الرجعية المتخشبة " (1)

\*ويمكن أن يجعل الأديب في الرواية رمز ال :

**الثورة:** يتخذ الأدباء المرأة رمزا للثورة سواء أكانت ثورة على المستعمر أو ثورة على التخلف أو على العادات والتقاليد الزائفة ونفهم هذا الترميز من خلال مواقفها ولغتها ووصف الكاتب لها في الرواية .

**الحرية:** قد يصبّ الأديب أفكاره التحررية في قالب يأخذ شكل المرأة فعندما يُحمّلها آماله وتطلعاته ويسكب عليها عواطف المرأة تكون ذات أثر أبلغ .

**الوطن:** قد يمثل صمود المرأة وكفاحها للبقاء في مجتمع ذكوري متحجر رمزا لوطن يعاني لكنه لا يزال صامدا أملا في مستقبل أفضل .

**الإيديولوجيا:** يعمد الكاتب أحيانا الى تحميل المرأة أفكارا سياسية وإيديولوجية فيصوغ تياراته الفكرية من خلالها وبذلك تكون رمزا لتوجهات الأديب السياسية .

**النمطية:** قد يقتصر توظيف المرأة في الرواية على الجانب النمطي في الحياة الاجتماعية فتكون رمزا للنماء والاستمرار، أي أنها تعبّر عن وظيفتها كامرأة في المجتمع .

<sup>1</sup> صالح مفقودة ، صورة المرأة في الرواية الجزائرية ، ص 167 ، 168.

# الفصل الثاني

## صورة المرأة في رواية ربح الجنوب

تمهيد

التعريف بالكاتب

تقديم الرواية

ملخص الرواية

أبعاد صورة المرأة في رواية ربح الجنوب: عبد الحميد بن هدوقة

أ- الصورة الاجتماعية

ب- الصورة النفسية

ت- الصورة الجسمية

رمزية المرأة في رواية ربح الجنوب: عبد الحميد بن هدوقة

**تمهيد للفصل الثاني :**

نقرأ هنا وهناك كتباً ومقالات وحكايات وأقاصيص حول طبائع الناس تكرس المقولات التاريخية ( الضعف-التبعية-النقص-اللاحق-الفرع-السكون-الصمت) التي تلتصق بالأنثى فتمثل وظيفتها في كونها الرحم الولود ومصيرها هو اللاهوية واللاصفة واللاوظيفة ومع التقدم في السنّ تفقد مكانتها أكثر، فيما يزداد الرجل حكمة وحنكة ونضجا عقليا، وهذه القسمة ظالمة تمنح خير ما في الحياة للرجل وتسلبه للأنثى .

إن فكرة تفوق الرجل تجدها الفتيات في الثقافة والتاريخ والأغاني والأساطير ، فالتاريخ يقدم الرجال كصانعي اليونان والامبراطورية الرومانية وعلم الاقتصاد يردد باختراع الرجال للأدوات والأساطير تنطق برغبات الرجال وغرورهم .

إن الفروق البيولوجية الموجودة بين الجنسين ليست مسؤولة عن التميز الاجتماعي الثقافي، بل طبيعة المهام والأعمال والحريات التي يمتلكها كل جنس هي المسببة في التميز الذي يبدأ منذ الطفولة لتتسع الفجوة وتبلغ ذروتها في مرحلة الشباب بصفة خاصة حيث يتم الفصل الحاسم بين الجنسين على جميع الأصعدة : المكان، العمل، الأخلاق.

وتبدأ عملية تدريب الأطفال الذكور على الخشونة والاستقلالية منذ نعومة أظافرهم وفي الوقت نفسه يقوم المجتمع بغرس بعض التصورات في أذهان الفتيات حول ضعف بنيتهم الفيزيولوجية وسرعة تفاعلهم ونظرتهم الى الأمور.

وما يسمى طبيعة أنثوية وذكورية كانت وما تزال تستخدم لإضفاء الشرعية على استمرار سيادة الرجال على النساء، وتتخذ ذريعة لتوزيع الحقوق والواجبات تبعا للجنس ، ويقال: إن النساء أكثر عاطفية واجتماعية، وهذا ما يؤهلهن بصفة ممتازة للزواج وتربية الأطفال وخدمة الرجال.

يحدث هذا على الرغم من أن علم النفس التجريبي قد أثبت منذ فترة طويلة أن أكثر هذه الخصائص: أقل عدوانية، أقل اهتماما بالأشياء التقنية، أقل استقلالا، أقل إبداعا، أقل طموحا، سببها اجتماعي .

إنّ فالتنشئة الأبوية والأسرية هي التي تتحكم في هذه الفروقات فتمجّد الصفات العدوانية للرجل حتى وإن كان من ضمنها القتل وما عملية التكيف التي تقوم بها المرأة مع هذه الصورة النمطية التي تجعل الرجل في المقام الأول ليست سوى قتل لوجودها الحقيقي ، وتمرّدها حول هذه القوانين يجعل منها عرضة لألسنة الناس وعرضة للعقاب الأبوي .

إنّ المجتمع هو الذي يحدّد مكانة المرأة ويرى فيها الضعف والانكسار هذا على الرغم من أن الفطرة زودتها بملكات ملائمة لوظيفتها كالحبّ والحنان والشفقة ورقة القلب وذكاء الحسّ ولطف العواطف ، ففيها اللين والمرونة والجرأة أيضا والامتاع والجراسة والاقدام

هذه التفرقة هي ما تتعرض له رواية ربح الجنوب لعبد الحميد بن هدوقة فهي تتحدث وبكل صراحة عن الظلم الاجتماعي الذي تتعرض له المرأة وهي في كنف عائلتها وتحت سيطرة والدها الذي من المفروض أن يحنّ ويعطف عليها ، إلا أنه لا يرى فيها سوى غرضا يمكن تحقيق ومآرب ومصالح من خلاله .

وتتحدث هذه الرواية أيضا عن التفرقة بين الجنسين الذكر والأنثى والصلاحيات المقدّمة لكلّ منهما والحلول البديلة أمام الفتاة ومدى نجاعتها، وهل تساعد في تحسين وضعيتها في المجتمع، فهي تقدّم رؤية واضحة لما تتعرض له المرأة في المجتمع الجزائري في فترة النهوض بمقومات الأمة، والسعي نحو تحسين معيشة كل أطراف المجتمع بجنسيه .

**أولا : التعريف بالكاتب :**

ولد عبد الحميد بن هدوقة في 09 جانفي 1925م، ببلدية المنصورة ، ولاية برج بوعرييج، وقضى فيها تعليمه الابتدائي ثم انتسب إلى معهد الكتانية بقسنطينة، ليلتحق بعدها بجامعة الزيتونة بتونس كطالب في فرع الآداب، وفي الوقت نفسه كان يتابع دراسته في معهد الفنون الدرامية، ثم عاد إلى الجزائر حيث عمل أستاذا للأدب العربي في المعهد الكتاني، كان مناضلا في صفوف المقاومة الوطنية، مما جعل الاستعمار الفرنسي يقف له بالمرصاد، فهرب سنة 1955 إلى فرنسا، وفي سنة 1958م اتجه إلى تونس والتحق بصفوف جبهة التحرير الوطني من هناك، ثم عاد إلى الجزائر مع فجر الاستقلال، تقلد مناصب عدّة منها: مدير المدرسة الوطنية للكتاب، رئيس المجلس الأعلى للثقافة، عضو المجلس الاستشاري الوطني ونائب رئيسه، مارس النشاط الإذاعي كمنتج ومشرف ثم كمدير للإذاعة والتلفزيون الجزائري.<sup>(1)</sup>

**مؤلفاته :**

إن المسيرة الفنية لعبد الحميد بن هدوقة مليئة بالآمال والخيبات، وهي تعكس مسيرة الجزائري الذي عايش الحلم والتغيير، ثم رأى كل شيء يتبدد رويدا رويدا، وعبر عن ذلك في أعماله المتنوعة، حتى قال عنها النقاد: «إنها اجتماعية، واقعية وصافية، وفيها شيء من الرومنسية، والوجودية، وإنها لا تخلو من الرمزية، وهناك من جعل الروائي واقعا نقديا يتسم بوضوح الرؤية تارة وقصورها تارة أخرى.»<sup>(2)</sup>

بدأ يفكر فعليا في الكتابة بعدما سقط طريح الفراش حين كان مارسيليا عاملا في مصنع للبلاستيك، وبين سنتي 1955 و 1958 بدأ يكتب تمثيلات إذاعية باللغة العربية لـ بي بي سي BBC و آر تي في RTV ، وعندما كان في تونس ألف عدّة مقالات للمجاهد ،

1- أحمد دوغان ، في الأدب الجزائري الحديث ، ص 410.

2- الطيب ولد العروسي ، أعلام من الأدب الجزائري الحديث .

وبطلب من الحكومة الجزائرية المؤقتة ألف كتابا يحمل عنوان (الجزائر بين الأمس واليوم) ثم بدأ في الإصدارات الأدبية وهي :

- ظلال جزائرية (مجموعة قصصية) نشرت في بيروت عن دار الحياة سنة 1996.
- الأشعة السبعة (مجموعة قصصية) صدرت في تونس عن الشركة القومية للتوزيع والنشر ، سنة 1962م
- الأرواح الشاغرة (ديوان شعر) صدر في الجزائر عن الشركة الوطنية للنشر والتوزيع سنة 1967م
- ذكريات وجراح - الجزائر : دار هومة 1997.
- ربح الجنوب (رواية) صدرت في الجزائر عن الشركة الوطنية للنشر والتوزيع سنة 1971.
- الكاتب (مجموعة قصصية ) إضافة إلى قصص أخرى صدرت سنة 1974م
- نهاية الأمس (رواية) صدرت في الجزائر عن الشركة نفسها سنة 1975.
- بان الصبح (رواية) صدرت في الجزائر أيضا .
- الجازية والدرابيش (رواية) صدرت سنة 1983 في الجزائر .
- قصص من الأدب العالمي (مجموعة قصص ترجمها الكاتب واختارها من الأدب العالمي) صدرت في الجزائر .
- النسر والعقاب (قصة للأطفال بالألوان) صدرت سنة 1958 في الجزائر .
- قصة ابروكوتسك (مسرحية سوفيتية مترجمة) صدرت سنة 1968 في الجزائر .
- دفاع عن الفدائيين (دراسة مترجمة) نشرت في بيروت سنة 1975 وسُلمت هذه الدراسة إلى منظمة التحرير الفلسطينية .
- غدا يوم جديد (رواية) صدرت في الجزائر سنة 1992 في بيروت عن دار الآداب سنة 1997 .
- أمثال جزائرية (كتاب) صدر في الجزائر عن الجمعية الجزائرية للطفولة سنة 1993.

شارك ابن هذوقة في الندوات الثقافية والفكرية بهدف التعريف بالرواية والأدب الجزائري ككل، كما ترجمت أعماله إلى لغات عدّة ، فمثلا رواية ربح الجنوب ترجمت إلى أكثر من عشرين لغة منها : الفرنسية، الروسية، الإسبانية، الألمانية، الصينية، الهولندية، الصربية .الخ.

ويذكر أنه ترك مائتي تمثيلية ومسرحية إذاعية لم تنتشر، وله أيضا مجموعة من الدراسات الثقافية والقصص والقصائد الحرة، لم تنتشر بعد<sup>(1)</sup>

### وفاته :

في 21 أكتوبر 1996، وبعد مقاومته لمرض عضال ألزمه الفراش لحوالي أربعة أشهر بمستشفى مصطفى باشا، رحل ابن هذوقة عن عمر ناهز 71 عاما، تاركا وراءه إرثا ثقافيا وفنيا معتبرا وأصبح أحد الأدباء الكلاسيكيين للجزائر، وصاحب أول رواية جزائرية مكتملة فنيا مكتوبة باللغة العربية .

### ثانيا : تقديم الرواية :

يرى بعض الباحثين أن رواية ربح الجنوب قد تكون أول رواية جزائرية ظهرت بالعربية في عهد الاستقلال ، وسواء صح هذا التاريخ لظهور الرواية الجزائرية الحديثة أم لم يصح ، فإن مما لا شك فيه أن " ربح الجنوب" بالإضافة إلى استيفائها لشروط الفن الروائي تعالج لأول مرة، وفي واقعية متزنة هادفةموضوعا يهتم الجماهير الواسعة من الشعب الجزائري، فلم تكن قصة " غادة أم القرى" لأحمد رضا ححو ولا قصة " الطالب المنكوب" لعبد المجيد الشافعي، من الروايات الجزائرية الناجحة من الناحية الفنية، هذه المكانة الممتازة التي تحتلها رواية " ربح الجنوب" في تاريخ الرواية العربية الجزائرية الحديثة، اهتم كثير من الباحثين والنقاد الجزائريين بها اهتماما ملحوظا، وهي تستحق كل العناية .<sup>(2)</sup> أصدر عبد الحميد بن هذوقة روايته هذه عن الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائري في سنة 1970 في 266 صفحة، أما النسخ المطبوعة حديثا فتحتوي 317 صفحة

1- المرجع السابق ، ص 167 168 169

2- محمد مصاييف ، الرواية الجزائرية الحديثة بين الواقعية والالتزام ، ص 179.

تمت كتابتها في وقت كثر فيه الحديث عن الثورة الزراعية والاشتراكية، فكانت أحداثها تصور واقع المجتمع الجزائري الريفي في فترة السبعينيات، وعنوان الرواية بحد ذاته يوحي بالأمر فهو يوضح الكثير من الدلالات، فالريح المذكورة ليست أي ريح، بل هي ريح الجنوب (القبلي) أو ما يسمى (الشهيلي).<sup>(1)</sup>

ولفظة الريح تحمل عدة دلالات فهي تعني التغيير والتجديد والثورة والموت والمصير... الخ وعند جبران مسعود وردت بالمعنى التالي: «هي ريح حارة جافة تهب من الجنوب والجنوب الشرقي»<sup>(2)</sup>

وقد حاول بعض الكتاب الجزائريين قراءة العنوان ومن بينهم عمر بن قينة الذي أبدى دهشته لاختيار ريح الجنوب عنوانا يقول: « وأتلمس البعد الرمزي أو الدلالي لاستخدام ريح الجنوب، أهي لون الشقاء والضنى يضاعفه مصدرها الصحراء ذات الرمال المحرقة؟. أم هي رياح التغيير لوجه الريف في عنفها واكتساحها ليس هناك غير هذين الاحتمالين<sup>(3)</sup> هذا العنوان تربطه علاقة وثيقة بمضمون الرواية فمتتبع أحداث الرواية يجد أن في سكون الريح أو هبوبها ينتظم إيقاع الأحداث في الرواية ويتشكل كعنصر أساسي يتحكم في نفسية الشخصيات التي ينتابها الإحساس بالحزن والكآبة والخوف مع كل إحساس بقدومه.<sup>(4)</sup>

ويظهر هذا في الرواية في قول الكاتب: « تحركت ريح الجنوب بكل عنف ، وانطلق دوبها بكل قوة يهز الدنيا هزًا وأخذت أصواتها في فحيح وصفير تتجاوب من كل جهة وجانب باعثة في النفوس الهلع وفي القلوب الرعب والفرع»<sup>(5)</sup>، وفي هذه المعادلة تظهر مدى

1 الشهيلي، ريح حارة سموم تأتي في فصل الصيف تحمل معها لفحات حارة وتأتي على كل ما ينعم بالحياة من زرع ونبات وحيوان .

2-جبران مسعود، الرائد في اللغة والاعلام ، دار العلم للملايين ، ط3، 2005، ص 223.

3-عمر بن قينة ، الريف والثورة في الرواية الجزائرية ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر 1988 ص 45.

4-عليه رحمين ، سيمياء العنوان في رواية عبد الحميد بن هدوقة والطاهر وطار -دراسة سيميائية-مذكرة ماجستير،كلية الآداب ، باتنة -الجزائر 20013 ، ص 58.

5- الرواية ص 281.

قده الانسان على مواجهة مصيره ومدى تمسكه بأرضه ورغبته في خدمتها فرغم ما تخلفه الريح من دمار على القرية إلا أنهم متمسكون بها .

يظهر صدق عبد الحميد بن هدوقة في هاته الرواية، حيث استطاع تشريح وضع مرفوض قلبا وقالبا وعلى كل المستويات، كما توصل إلى أن يرى وراء وقائع الأحداث اليومية وظاهراتها فرسم اللوحة العامة للحركة وصراع مختلف القوى الاجتماعية.<sup>(1)</sup>

والدكتور محمد مصايف يرى أن المحور الأساسي الذي تدور حوله أحداث الرواية ليس هو موضوع الثورة الزراعية كما أشار إلى ذلك الدكتور عبد الله الركيبي في كتابه (تطور النثر الجزائري الحديث) ولكنه تلك النفسية المحافظة التي حملها ابن القاضي من أول صفحة في الرواية إلى آخر صفحة منها وهي نفسية الطبقة الإقطاعية التي عاشت الثورة الجزائرية؛ دون أن تندمج فيها اندماجا كلياً، وكل صراع أو حدث في الرواية مهما كان نوعه أو أثره في سير الأحداث إنما كان بين هذه النفسية وبين المجتمع الريفي المتمثل في المرأة والسلطة والثقافة التي كان يمثلها الطاهر المعلم ومالك إلى حدّ ما<sup>(2)</sup>

وهنا يحدث الاختلاف بين النقاد الجزائريين فالدكتور عبد الله الركيبي يؤكد أن « ربح الجنوب تلتقي مع رواية الزلزال للطاهر وطار في كون كل منهما تعالج موضوع الثورة الزراعية»<sup>(3)</sup>

والدكتور محمد مصايف يرى أن شعار الثورة الزراعية لم يكد يرد في رواية ربح الجنوب على أي لسان، وشعار الاصلاح الزراعي نفسه لم يرد في الغالب إلا على لسان المعلم الطاهر، ومالك شيخ البلدية من حين لآخر وفي سلبية ظاهرة .

والجانب الذي يمينا في معالجة هذه الرواية هي قضية المرأة، فالمعروف أن ابن هدوقة يولي الجانب الأهم من اهتماماته لها، ولعل موضوع المرأة عنده هو الموضوع الغالب ولعلها ليست مجرد مصادفة كون أول رواية له هي: (ربح الجنوب) تركز أساسا على

1 واسيني الأعرج ، اتجاهات الرواية العربية في الجزائر ، ص 102 .

2 مصطفى فاسي ، دراسات في الرواية الجزائرية ص 102 .

3- عبد الله الركيبي، تطور النثر الجزائري الحديث، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة ، 1976 ، ص 199 .

موضوع المرأة، فقد طرح قضيتها بشكل يجلب الاهتمام، نظرا لكون أحداثها جرت زمانيا في فترة بدايات الاستقلال، وهي الفترة التي كانت تنتظر فيها المرأة التفاتة إليها وأنها أيضا تجري مكانيا في بيئة ريفية.

إذن لقد نالت المرأة مكانة كبيرة من إنتاجات عبد الحميد بن هدوقة "لأن صورة المرأة أكثر استقطابا بحركة الواقع وأغنى دلالة لتحديد موقف الأديب منه" (1) وهذه الرواية بالضبط سلطت الضوء على قضية المرأة بشكل واضح، فصورها الكاتب وأبرز مكانتها ضمن فئات المجتمع الأخرى، تخضع لنظام العلاقات الإنتاجية القائم، فالمرأة في ذهن "عابد القاضي" لا تختلف عن الأشياء الأخرى التي يمتلكها فقد قدم ابنته الأولى زليخة كزوجة لمالك المناضل من أجل مصالحه الشخصية المتمثلة في ضمان الحماية أثناء حرب التحرير، ثم حاول مصاهرته ثانية بعد الاستقلال حين أصبح مالك شيخا للبلدية من خلال تزويجه بابنته الثانية نفيسة ذلك أن زليخة توفيت أثناء الثورة، ومصاهرة مالك مجددا تضمن له الحفاظ على أراضيه من قانون الثورة الزراعية، الذي ينص على أن الأراضي لمن يخدمها.

وابن هدوقة وهو ينقل هذه الصورة عن وضعية المرأة في الريف الجزائري، لم يغفل صيحات التمرد التي كانت تتبعث وسط هذا الجو، فنفيسة ترفض مشروع والدها، وترفض نمط الحياة التي تحياها في بيتها، ومن ثمة تقرر الفرار والعودة إلى العاصمة، وبالرغم من كون الكاتب يحوّل تدمير نفيسة إلى نوع من السخط الرومنسي الذاتي إلا أنه يعيدها في النهاية إلى البيت والدها ابن القاضي في نهاية مبهمة إلى حدّ ما .

### ثالثا : ملخص الرواية :

تتطلق الرواية في صباح يوم الجمعة - وهو يوم سوق - يستعدّ عابد ابن القاضي للذهاب إلى السوق مع ابنه الصغير عبد القادر، يقف قرب داره متأملا أراضيه وقطيع أغنامه الذي يقوده رابح الراعي، هذا الأخير شاب في مقتبل العمر يعيش مع والدته البكماء ، يتطلع

1- طه وادي ، صورة المرأة في الرواية المعاصرة ، دار المعارف ، ط2 ، 1980 ، ص 55.

ابن القاضي إلى غرفة ابنته نفيسة وتتملكه بعض الغبطة والسرور حين تخطر بباله فكرة تزويجها لمالك شيخ البلدية حتى تكون أراضيها في مأمن من قانون التأميم، نفيسة طالبة تدرس بالعاصمة عادت إلى قريتها لقضاء العطلة الصيفية وسط عائلتها في الريف الذي تميز صيفه بالحرارة الشديدة، زاده لفح ربح الجنوب حرارة أشدّ، أثرت على الإنسان والطبيعة معا، تعاني هذه الفتاة من الضجر والضيق، وما زاد من همّها أنها شبه سجين في بيت والدها المعروف بأنه رجل إقطاعي وانتهازي، ولا تهمه سوى مصالحه، فقد عقد خطبة ابنته الأولى زليخة لمالك إبان الثورة التحريرية، أين كان مالك مجاهدا في صفوف جيش التحرير فقط ليضمن سلامته وسلامة عائلته، وها هو يطمع في أن يعيد الكرة مع ابنته نفيسة ذلك أن زفاف زليخة لم يكتمل فقد توفيت في كمين نصبه المجاهدون ومن بينهم مالك لجنود الاحتلال في سكة القطار إلا أنها ركبت القطار في ذلك اليوم وراحت ضحية خطأ غير مقصود، والآن تزويج نفيسة لمالك يضمن لابن القاضي الحفاظ على مكانته، أملاكه ونفوذه إذن هو طوق النجاة وصمام الأمان من قانون الثورة الزراعية .

كل هذه الأمور أعدت بمنأى عن نفيسة التي كانت تعيش فترة اتسمت بالفراغ، فهي ناقمة على الأوضاع التي تعيشها هذه القرية تقول: « كل شيء هنا يحرم الخروج، حتى الشمس !... لكن أي فائدة في الخروج إلى الخراب؟ أظن أن القنابل الذرية التي يتحدثون عنها لا تستطيع أن تجعل مكانا أشدّ خرابا من هذه القرية، الصمت، الصمت، الصمت ! أكاد أجن من هذا الصمت ، قد تكون يقظة الموتى في أجدائهم تشبه يقظتي هذه»<sup>(1)</sup>، كانت تشاق كثيرا إلى الحياة المدنية فهي أثناء الدراسة تقيم عند خالتها بالعاصمة، كانت تنعم بالحرية المطلقة هناك، وهي الآن ترى أن قريتها رجعية ومتخلفة، فهي لا تعترف بحقوق المرأة، بل تحرمها من التعبير عن آرائها، فالسلطة والكلمة للرجل، وهو الذي يقرر مصيرها وفق ما يراه مناسبا له قبل أن يكون مناسبا لها، هذا ما جعل نفيسة ترفض هذه الحياة بشدة وكثيرا ما كانت تجهش بالبكاء المرير قائلة: « أكاد أتفجر، أكاد أتفجر في هذه الصحراء ،

1- عبد الحميد بن هدوقة : ربح الجنوب ، ص 06 .

وفاضت عيناها بالدموع»<sup>(1)</sup>، وكانت في كل مرة تعود إلى كتبها لتقرأها، فقد كانت هذه الكتب هي عزاءها الوحيد، هذا رغم تواجد أمها "خيرة" التي كثيرا ما شاركتها بكاءها، حتى وإن كانت تجهل الدوافع التي تبكيها، فهي امرأة مغلوب على أمرها، لم تتعلم من هذه الحياة سوى الصمت، وعدم إبداء رأيها حتى في أتفه الأمور، وكانت تزورهم كل يوم جمعة العجوز "رحمة" صانعة الفخار، فتغيّر الجوّ قليلا وترقّه عن نفيسة ووالدتها ثم يترافقن إلى المقبرة، وفي الطريق يدور حديث بين خيرة ورحمة حول قضية زواج مالك من نفيسة، لكن خيرة كغيرها من أفراد القرية لم تسمع الخبر بعد من زوجها إنما تعرف فقط ما يدور بين الناس من إشاعات.

في هذا الوقت كان بن القاضي يخطط لاستغلال موعد تدشين مقبرة الشهداء حيث أقام وليمة كبيرة في بيته بهذه المناسبة، وكان هدفه الحقيقي منها هو مفاتحة مالك في موضوع زواجه من نفيسة، ودعاه إلى بيته بحجة أن خيرة تريد رؤيته، وما إن وقع نظره على نفيسة حتى أدرك الشبه الكبير بينها وبين خطيبته السابقة زليخة، ولمحت العجوز رحمة التي كانت حاضرة لفكرة هذا الزواج.

كل هذا يحدث ونفيسة لا زالت لا تعلم شيئا إلى أن قررت والدتها إخبارها بقرار والدها، فتثور ثأرتها وتصرخ في وجه أمها قائلة: إنها لن تتزوج، وأنها ستكمل دراستها رغم كل شيء.

تنبهر خيرة من ردة فعل ابنتها وتخبر زوجها بجواب نفيسة ليؤكد هذا الأخير أن القرار لا رجعة، وأمام هذه الضغوطات التي تواجهها الفتاة لا تجد حلا أمامها سوى أن تكتب لخالتها طالبة منها المساعدة، وتطلب من رابح الراعي أن يأخذ الرسالة إلى مركز البريد ولقاء رابح بنفيسة أوله تأويلا خاطئا فظن أنها معجبة به، هذا ما جعله يقتحم غرفتها ليلا فتطرده قائلة: "أخرج أيها الراعي القدر"<sup>(2)</sup>

1- عبد الحميد بن هدوقة: ربح الجنوب، ص 09

<sup>2</sup> نفسه ص 125.

فقرر ترك هذه المهنة وأصبح خطابا مستقلا بذاته ، وفي أحد الأيام لاحظ سقوط العجوز رحمة من على ربوة مرتفعة في حفرة، فهرع لمساعدتها وبعد استيقاظها عاملته بكرم رغم فقرها، لكن بعدها بأيام مرضت مرضا شديدا ألزمها الفراش، وأحس الجميع بدنوّ أجلها فحضرت عندها عائلة نفيسة، ومالك الذي كان يحس أنه مدين لها بحياته لأنها أنقذته أيام الثورة، وبعد عذاب طويل توفيت هذه العجوز، وحضر جنازتها كل سكان القرية وفي الليلة التي تلت ليلة موتها تجمّع الناس في بيتها فأعدوا الطعام وتلا الرجال القرآن، كما دارت أحاديث شتى طغى عليها موضوع الاصلاح الزراعي الذي اختلفت حوله وجهات النظر .

كل هذه الأحداث جرت ونفيسة لا زالت تفكر في الهروب من هذه القرية والعودة إلى العاصمة، فسألت عن الطريق الذي يؤدي إلى محطة القطار، وسلكت دربا وعرا ليلة هروبها فلدغها ثعبان جعلها طريحة في مكانها، ولحسن حظها عثر عليها رباح وأخذها إلى بيته فعالجتها والدته وقضت عندهم بضعة أيام على أن تكمل خطتها المتمثلة في الهرب، لكن خبر تواجدها هناك وصل إلى مسامع والدها عن طريق أحد ألد أعدائه، فثارت ثأرتة وتوجه إلى بيت رباح وكله تصميم على قتله انتقاما لسمعته، وعند وصوله اليه أشهر في وجهه سكينه وطرحه أرضا محاولا دق عنقه، وأمام هذا المنظر المهول أسرع أم رباح إلى فأس فضربت بها ابن القاضي على رأسه وتسيل الدماء من رأسه ومن عنق رباح لتتصرف هذه الأخيرة إليساعاف ابنها، ونفيسة تحاول إسعاف والدها، لكن أم رباح طردتها من منزلها وأخذت تصرخ بأعلى صوتها، لكن نفيسة عادت وأخذت أغراضها وقررت العودة إلى بيت والدها، فهذه الأحداث قد أفضلت مشروعها، وفي طريقها كانت ترى جماعات تتوجه إلى بيت القاضي " حيث كان صراخ المرأة البكاء وعويلها يمزقان سكون الليل وهدوء القرية في عنف وقوة يبلغان إلى أبعد مدى رغم البكم " (1)

1 عبد الحميد بن هدوفة : ربح الجنوب ، ص 316.

تملكت نفيسة أحاسيس كثيرة منها الغضب والحقد الذي كانت تكته لوالدها وكيف تحول إلى حنان بعد أن ضربته المرأة البكماء بالفأس وشعرت بخيبة أليمة تجاه عائلة رباح ، وتحركت ربح الجنوب لتزيد من أسى القرية فجعلتها تتلحف بلحاف من غبار .

#### رابعا : صورة المرأة في الرواية " ربح الجنوب " .

##### 1-الصورة الاجتماعية:

##### -الصورة الاجتماعية لنفيسة :

نفيسة فتاة تبلغ من العمر الثامنة عشر، تنتمي إلى عائلة اقطاعية قاطنة بالريف وتزاول دراستها بالجزائر العاصمة عند خالتها مما جعلها تميل إلى التحرر والتغريب، مثقفة وتتنق اللغة الفرنسية، متمردة على الواقع الذي يعيشه أهل قريتها ومخالفة لبعض عادات سكانها كالنوم ثلا مع والدتها في غرفة واحدة "هي لا تستطيع النوم مع أمها وأخيها في الفراش العائلي، كما هي العادة لدى سكان القرية، فهي تفضل هذه الحجرة الضيقة على الذوبان النهائي في الأسرة"<sup>(1)</sup>

تعيش في عالم طموحاتها وأحلامها والذي تراه يتعارض تماما مع الحياة البدائية التي يعيشها سكان القرية، ولا تجد نقطة وصل واحدة بين هذه الحياة وبين ما قرأته من حكايا وروايات، يقول الكاتب في هذا الصدد: " ... فلم تجد نقطة للمقارنة بين هذه الحياة الساذجة البسيطة التي يحيها أهلها وكل سكان البادية، وبين الحياة الحضرية المعقدة التي عاشت قليلا منها لدى خالتها بالجزائر، وقرأت عنها الكثير في الكتب والقصص السينمائية، أين هذه الحياة من حياة " سيسي" الامبراطورة، والأميرة " ثريا" و" اليزابيث تايلور"<sup>(2)</sup>

نفيسة ترفض فكرة الزواج رفضا قاطعا، وتسعى جاهدة لأن تكمل دراستها علما أنها لا ترفض إقامة علاقة حب مع أحد الشباب في العاصمة وهنا يظهر منطقتها المتحرر الذي يجعلها تتبعد عن تعاليم الدين وعن ما هو محظور في قريتها تقول: «أصدقائي من الطلبة؟ هم يودون كل شيء من الفتاة ما عدا الزواج، رضا أجملهم وأشد حياء ... لو قضيت العطلة

1 عبد الحميد بن هدوقة : ربح الجنوب ، ص 07 .

<sup>2</sup> المصدر نفسه ، ص 37.

في الجزائر لاستطعت أن ألقاه، لكن ما الفائدة هو شديد الحياء إذ قال لي: صباح الخير يحرر وجهه بينما رفاقه الآخرون هم والخجل في اتجاه معاكس: ينادونني الصغيرة... لست أدري لماذا ، بيد أنني أكبر من بعضهم جسماً وستاً»<sup>(1)</sup>

ويتأكد عبثاً بتعاليم الدين، في ردّها على والدتها عندما طلبت منها أن تتوقف عن البكاء وتطرد الوسوس بالصلاة، فثارت حفيظتها واجابت معتذرة « من الفتاة التي تصلي في مثل سنّي<sup>(2)</sup>

وبعد انصراف والدتها تمتت قائلة:« الصلاة ، لا يعرفون هنا إلا الصلاة والموت ، أما الحياة فهي وسوس شيطان»<sup>(3)</sup>

لا تعجبها نظرة سكان القرية للمرأة وتفضيل الرجل عليها حتى أنها تغار من أخيها عبد القادر الذي ترى أنه يتمتع بالقدر الوافر من الحرية على عكسها، تقول: « كأن المرأة مخلوق شاذ ، يجب ألا يعامل معاملة الأسوياء، الخروج عيب .. الضحك عيب. الحديث أمام الرجال عيب ... التجمّل عيب، عدم القيام بكرة، عدم الصلاة، عدم إتقان أعمال بدائية منزلية عيب ... كل شيء هنا عيب ! قيمة المرأة ليست فيما تحسّ أو تعمل، ألسنة الناس فيها حسبما اتفق ميزانها»<sup>(4)</sup>

وحين نتتبع وصف الكاتب للقرية يظهر كره نفيسة لها منطقي بعض الشيء، فهو يصورها كمكان معزول يعمّه الجهل والتخلف وما يزيد أمره سوءاً هو الريح التي تهبّ عليه لتبعث التشاؤم أكثر في نفوس قاطنيه، ونفيسة هي فتاة تنتمي إلى جيل الاستقلال ارتبط وعيها بالخروج من هذه القرية إلى المدن الكبيرة، وإلى الجامعة حيث الفكر الحرّ والتصرفات الطليقة.

1- عبد الحميد بن هدوقة : ربح الجنوب ، ص 08 .

2-المصدر نفسه ، ص 11

3-المصدر نفسه ، ص 07

4-المصدر نفسه : ص 41.

- الصورة الاجتماعية للعجوز رحمة:رحمة عجوز مناضلة شاركت من قبل في الثورة التحريرية بجانب المجاهدين بتقديم خدماتها لهم ومن بين ذلك أنها أسعفت مالك وأوته في بيتها ثلاثة أشهر بعد إصابته في الحرب، وفي زمن الرواية تزاول حرفة صناعة الفخار، تنتمي إلى الطبقة الفقيرة التي في كثير من الأحيان لا تجد ما تسدُّ به جوعها، حتى أن جوعها هذا سبب لها الإغماء في أحد المرّات " وقد أدرك رايح أن الجوع هو الذي سبب لها الإغماء لا السقطة " <sup>1</sup>

ورغم هذا فهي تبدو متفائلة، معطاءة وكريمة فهي كثيرا ما تهدي للناس مما تصنعه كما أنها تكرم الضيف وفي المقابل لا تقبل استضافة الآخرين لها تحت الإلحاح. متمسكة بعادات قريتها ومفتخرة بها كالصدقة والاطعام الجماعي وكرم الضيافة ونجدة المحتاج وتبجيل الكبير وهي ترى أن ما تعيشه النسوة أمرٌ مسلمٌ به فهنَّ لا يملكن الشجاعة للتعبير عمّا لا يعجبهن بل لا تفكرن في ذلك حتى ، ورغم أنها فقدت زوجها وكل أهلها إلا أنها لم تتسلخ عن تربيتها وقيمها ، بل حافظت على أصالتها ، واعتبرت كل سكان القرية أهلا لها فصاروا يعاملونها كأهم لهم جميعا ، وهي تعاملهم كأبنائها .

### - الصورة الاجتماعية لخيرة:

زوجة عابد ابن القاضي، والدة نفيسة وعبد القادر وزليخة التي توفيت أثناء حرب التحرير، تعدّ أحد النساء اللواتي لا يعوزهن شيء من الناحية المادية ، فهي زوجة أحد أغنى رجال القرية، كما أنها تعتمد على تربية الدواجن وتبيعها لتشتري منه ما ينقصها، لا أقارب لها بيد أنهم توفوا في الثورة، ولا يذكر الكاتب سوى أختها المقيمة في العاصمة، تقوم خيرة بواجباتها المنزلية من طبخ وحلب للأغنام وغسل وغير ذلك ، تعيش نفس الروتين كل يوم تحلّ محل الوسيط بين ابن القاضي ونفيسة فهي المكلفة بالحديث إلى ابنتها وإبلاغ زوجها . لا يذكر الكاتب عنها تفاصيل كثيرة فهو يصورها كأهم عادية تقوم بما عليها القيام به من أعمال.

1- عبد الحميد بن هدوقة : ربح الجنوب ص 142.

**2- الصورة النفسية :****-الصورة النفسية لنفسية :**

تظهر شخصية نفسية في معظم الرواية متوترة سلبية منشطرة أشتاتا تعاني تمزقا نفسيا رهيبا، أغلب شعورها يتمثل في السخط والتذمر، كل شيء حولها يثير فيها النفور والغضب ، لكنها في ذات الوقت قاصرة نفسيا ولا تتحلى بالشجاعة الكافية للتعبير عن ثورتها النفسية ، تقاوم على عدة جبهات ، فهي ترفض الزواج من مالك وبذلك تقف في وجه أبيها وقراراته ، نفسية تفتقد إلى التفكير المنطقي السليم إذ تمتزج أحاسيسها بين الرغبة في البكاء والانطواء على ذاتها وبالتالي العيش في عزلة روحية تامة وبين السخط والنقم على كل ما حولها .

تظهر قوية في بعض المواقف ، إلا أن هذه القوة تتجلى في بضع كلمات أو في انفعال مؤقت وصراخ في وجه أمها لا غير ، خاصة في ردّها عليها حول موضوع الزواج أين تصرخ في وجهها بعصبية قائلة : " قولي له لن اتزوج ، ولن أنقطع عن دراستي ، سأعود إلى الجزائر مهما كان الحال " <sup>1</sup>.

نفسية أيضا كغيرها من البشر تشعر بما يشعرون وكرهها للمأساة التي تعيشها لم ينزع منها انسانيته فهي تكنّ ودًا صادقًا للعجوز رحمة ويظهر صدق مشاعرها عند وفاة هذه الأخيرة أين دُعت لِمَا رأت " أما نفسية فأذعرها المشهد فبدل أن ترتمي على العجوز باكية ارتمت على الأرض " <sup>2</sup>.

في معظم حواراتها مع ذاتها أو في تفكيرها تحاول أن تظهر بمظهر القوية حتى أنها حملت على عاتقها فكرة الدفاع عن المرأة وتحريرها إلا أن أفكارها التحريرية هذه تحمل نوعا من الاضطراب فكانت تفكر في الانتحار أو الفرار وغير ذلك بدل الرضوخ لأوامر والدها تقول :«الانتحار ؟ ربما يكون حلا جميلا ، أضع حبلا في عنقي وأربطه في السقف ، لحظات ألم ثم ينتهي كل ألم ... أبحث عن تحرير المرأة، ولم أستطع تحرير نفسي إلا

<sup>1</sup> عبد الحميد بن هدوقة : ربح الجنوب ، ص 103.

<sup>2</sup> المصدر نفسه ، ص 183.

بالانتحار ! الانتحار جُبْن لا حدّ له أو شجاعة لا مثيل لها وأنا لست بالجبانة ولا بالشجاعة ، هناك فكرة أخرى ، أذهب لمقهى القرية وأعلن على رؤوس الملائم أن أبي يمنعني من مواصلة الدراسة بحجة أن سنّي تقتضي الزواج... ولكن الناس سوف يقولون: إنها مجنونة...، أي اختيار بقي لي إذن؟ الرضوخ؟ لا ، الفرار؟ فكرة الفرار ولم لا؟ شيء من الجرأة والتدبير يكفي لأن أتخلص نهائياً من هذه المأساة"<sup>1</sup>

هذا الحل الذي اختارته ، يظهر بعض الجبن في شخصيتها فهي لم تستطع ولا مرة واحدة أن تتحدث إلى والدها في الموضوع - فالكاتب عمل على إظهار الحديث مع الوالد أمراً مستحيلاً- أو أن تبدي رأيها بصراحة .

وبعد تدبيرها لخطة الفرار تظهر في الربح الخير من الرواية في نفسية متفائلة ومستبشرة ومغتبطة فلا يتحدث الكاتب عن مظاهر الضيق التي صاحبها منذ البداية ، وتظل على هاته الحالة إلى حين موعد تنفيذ خطتها أين تبدوا مصممة على المواصلة رغم تضيقها للطريق المؤدي إلى المحطة التي تذهب منها إلى العاصمة ، شيء من التيهان والحيرة ينتهي بلدغ الشعبان لها أين تنهار وتوشك أن تفقد حياتها لولا إنقاذ رباح لها ، تعيش بعدها أياما ببيت رباح أين يتأكد خوفها الذي سيطر عليها من عملية الهروب فهي لم تواصل الهرب بل مكثت أياما إلى أن استطاع والدها تبين مكانها ففشلت عملية الفرار ككل بعد مهاجمته لبيت رباح وسقوط كلاهما متأثران بجراحهما أين تظهر مذعورة وغير مدركة لما يدور حولها ، لتنتهي الرواية وهي مدهوشة ، وتعود إلى منزلها تتذكر شريط حياتها في حالة من الضياع والحسرة والألم .

### الصورة النفسية للعجوز رحمة :

1- عبد الحميد بن هدوقة : ربح الجنوب ، ص 258/257.

صوّر الكاتب العجوز رحمة كشخصية متوازنة ذات نظرة موحدة غير متنكرة للتقاليد التي عاشت عليها ، ويمكن أن تقول عنها أنها مستسلمة ويظهر ذلك في كلامها أين تقول : " أنا والفخار دائما ... لا بأس ... كما يقول المثل : ناكلو في القوت ونستتو في الموت " <sup>1</sup> تتخذ موقفا عمليا اتسم بالوفاء ويُظهر منها جوانب انسانية حميمة جميلة حيث أنها التزمت بزيارة قبر زوجها كل أسبوع ووضع بعض الأكواب الفخارية الصغيرة عليه .

تظهر أيضا متعودة على نمط الحياة الذي تعيشه القرية ، ولا تأتي شيئا آخر ، فهي ترى أنها إذا ما جارت متطلبات العصر فإن ذلك يكون إنكارا وعقوبا للماضي ; لديها علاقات طيبة مع جميع أهالي القرية وهذا ما يظهر على لسان الكاتب حين وصف لحظة لقائها بنفسية يقول : " احتضنتها نفيسة وراحت تقبلها قبلات مليئة بما تكنه لها من ودّ ، وكانت تحبها فهي تجد فيها أكثر من فضيلة ، ثم إن حكاياتها وما ترونه من أمثال وطرف وصفاء روحها وقناعتها ، كل ذلك يجعل نفيسة تحبها ويجعل جميع من يعرفها يحبها ويبجلها " <sup>2</sup>

ورغم علاقتها الطيبة مع سكان القرية إلا أنها تعيب بعض تصرفاتهم فنتساءل في تشاؤم وبأس عن سبب انصرافهم إلى القيل والقال بدل التفكير في الدين والعمل .

اعطاها الكاتب نظرة تقليدية فيما يتعلق بأمور الزواج وقد جعلها تتدخل في موضوع مالك من نفيسة ذلك لعلو شأنها بين جميع من يعرفها مما يجعل كلمتها مسموعة وتدخلها تظهر فيه رغبتها في إتمام هذا الزواج إلا أنها تفضل أن تعالج الأمر بمرونة وحكمة فهي تسعى لإرضاء جميع الأطراف .

تظهر في لحظات وفاتها بنفسية منهكة ومرهقة فيكون هذيانها معبرا عما عاشته من شقاء وبؤس .

### الصورة النفسية لخيرة :

كونها تعيش معيشة ميسورة مقارنة بأهل القرية الفقراء لا يجعلها مختلفة عن باقي النسوة فهي تخضع تماما لزوجها ويقتصر دورها على التربية والقيام بالأعمال المنزلية دون

1- عبد الحميد بن هدوقة : ربح الجنوب ، ص 17/16.

2-المصدر نفسه ، ص 16 .

أن يكون لها دخل في أي قرار يصدره زوجها ، تظهر مقتتعة وراضية بالحياة التي تعيشها فلا تبدي تدمرا إلا من ابنتها التي تساعدتها في القيام بالأعمال المنزلية المتعبة والتي لا تشاركها همومها وأحزانها فتقول باكية ومحدثة قبر أمها: «هاهي ذي ابنتي إلى جانبي لا تحرك ساكنا ولا تأبه لدموعي أو أحزاني<sup>1</sup>»

كونها أم تسعى دائما إلى إظهار حنانها وعطفها على أبنائها فيظهر منها جانب الأمومة الصادقة فهي ورغم عصيان نفيسة لها لا تعاملها بالمثل وتحاول دائما التخفيف عنها .

كل ما يقع حولها تفسره بالقضاء والقدر وترى أن حلول الكثير من المشاكل يكون بالتقرب إلى الله والصلاة ، ونظرا لجهلها فهي تؤمن بفاعلية الحجية التي يكتبها الشيوخ لرد السحر والجن " وقد اندهشت وهي ترى ابنتها تنتقل من أسوأ حالة إلى أحسنها في ظرف ساعة، وعزّت هذا التحسن السريع إلى فعالية الحجاب والعزيمة والنشرة، وقالت في نفسها : الشيخ حمودة إذا نصح لا مثيل له " <sup>2</sup>

خيرة لا تعبر عن مشاعرها وحين تتعرض لما يضايقها تعبر عن ذلك بالبكاء ، تبدو أيضا انطوائية بعض الشيء لكنها انبساطية وغير متكلفة في تعاملها مع الغير .  
آمالها لا تتعدى كسب احترام زوجها وكسب محبة نفيسة ومحاولة التوفيق بين رأيها المتعارضان ، تظهر في شخصية المرأة الصابرة إلا عند وفاة العجوز رحمة فقد انهارت "وأخذت الم تبكي بأعلى صوتها بكاءً مرًا " <sup>3</sup>

### الصورة النفسية لأم ربح:

باعتبارها شخصية ثانوية فإن الكاتب لا يذكر حولها تفاصيل كثيرة فهي رغم بكمها امرأة انبساطية ، تعبر عن ذلك بما تمنحه من ابتسام وإشراقة لا تفارق محياها ، حيوية ومثابرة ، تخضع لابنها ربح فرغم أنها هي الوالدة إلا أنه الأمر النهائي في المنزل ويظهر

1- عبد الحميد بن هذوقة : ربح الجنوب ص 16

2- المصدر نفسه : ص 258.

3-المصدر نفسه ، ص 183

ذلك في الحديث الذي دار بين نفيسة ورباح حول إمكانية بقائها في منزله إلى حين شفائها فقالت: " هل أمك لا تريدني أن ابقى هنا ؟ فأجاب رباح ضاحكا : لا تستطيع أن ترفض فأنا الذي اتصرف هنا " <sup>1</sup>

وتجدر الإشارة إلى أن خضوها لابنها يظهر في حب ودون انزعاج ، كما تدافع عنه في هنف .

### 3- الصورة الجسمية :

#### -الصورة الجسمية لنفيسة :

نقل الكاتب الصورة الجسمية لنفيسة من وجهة نظر الآخرين ، وكان في كل مرة لا يتوانى عن ذكر مدى حسنها وجمالها ، حتى أنها اشتهرت بهذا الجمال لدى جميع سكان قريتها حتى الذين لم يروها سمعوا عنها ، فقد أبهرت رباح الراعي بعد أن التقاها فلم يستطع نسيان " تلك الفتاة التي تشبه القمر " <sup>2</sup> فقد بدت له " جميلة كالشهد " <sup>3</sup>: كما تشوق المعلم الطاهر لرؤيتها بعدما سمع ما يشيع عن جمالها وأنوثتها بل وحتى فكر في الزواج منها لولا صداقته بمالك الذي كان خطيب أختها من قبل وهو المرشح للزواج منها حاليا فيذكر الكاتب أنه حين التقاها أثارت فيه الحنين إلى الماضي نظرا للتشابه الكبير بينها وبين أختها " أما مالك فقد كان ينظر إلى الأرض مجتهدا أن لا تنزلق منه أية نظرة نحوها، بالرغم من أنه كان يحسّ بوجودها أكثر مما ينبغي ويجد لذلك لذة خفية لا تقدر <sup>(4)</sup> ، حتى أنه وصفها لصديقه الطاهر بقوله : " إن جمالها سماوي " <sup>(5)</sup>.

وجعل الكاتب لإعجاب هؤلاء الثلاثة بها غايات متعددة فلو أنها ارتبطت برباح لأنسته شقاءه ولاستطاع أن يعيش بسعادة ، ولو أنها قبلت الزواج من مالك فإن ذلك سينسيه جراح الماضي ولو سنحت الفرصة للمعلم الطاهر للزواج منها لاستطاع أن يستأنس معها فينسى

1- عبد الحميد بن هدوقة : ربح الجنوب ، ص 299 .

2-المصدر نفسه ص 117 .

3-المصدر نفسه 124.

4المصدر نفسه، ص 73.

5-المصدر نفسه، ص 80.

وحدثه، هذه الغايات أراد عبد الحميد بن هدوقة من خلالها أن يبرز الدور الكبير الذي قد تلعبه المرأة في حياة الرجل .

وقد استطرد الكاتب في وصفها جسدياً من خلال عيني العجوز رحمة حيث كانت تخوض معها نقاشاً حاداً حول ضرورة معاملة المرأة المعاملة الحسنة التي تليق بها، يقول: " كانت تتحدث إلى العجوز وعضلات وجهها تتقبض وتتطلق مما زاده حيوية وسحراً، ولا حظت العجوز لأول مرة أنها أمام امرأة لا تعرف مثيلاً لها في هذه القرية، امرأة قد تكون عاشت تجارب عديدة ولو أنها تحاول الظهور في أغلب الأحيان بمظهر الفتاة البريئة ! كما لا حظت حسنها البادي في كل جزء من ملامح وجهها، فهاهي ترى خطوطاً رقيقة متوازية ترتسم فجأة على جبين نفيسة تعبّر عن حزن لا تصوّره الكلمات، وها هي ذي ترى خطاً عمودياً يرتسم بين حاجبيها في استقامة، يؤيد استقامة حاجتها، وها هي ترى على شفثيها الرقيقتين شيئاً ساحراً يملأ النفس غبطة وعطفاً على صاحبتيه وهي تتحدث، ثم ذلك الثغر الفاتن لا نشوز لأسنانه ولا انفراج بينها، بياضه الناصع يحدّث ببلاغة على أن كبر السن ليس أمراً محزناً فقط .. ثم هذان الهدبان الطويلان، اللذان يعطيان للنظرات عمقا وجمالا، ثم هذان الحاجبان الغريبان، ... ليس هناك فتاة فيما تعرف لها حاجبان، كثيف شعرهما بهذه الصورة ! ومع ذلك فهما في هذا الوجه نموذج فذ للجمال ! وحركات يديها وهي تتكلم. ما أشدّ تعبيرها وانسجامها مع الكلام ! وهذه الخصلة الكثيفة الناعمة المرسلّة على الجهة اليسرى من الصدر حيث تنقّوس قليلاً ثم تنزل إلى الحزام الأبيض اللامع الجميل ! وهذا الفستان الحريري الأزرق ذو الأزهار اللوزية الزاهرة ! ..."(1)

حتى أن العجوز رحمة تمنّت لو تصنع آنية فخارية تشبه نفيسة "آه! لو أستطيع أن

أصنع آنية واحدة توحى لناظرها بما توحى به هذه الفتاة ! .. لكنك إذا أسعد امرأة..."(2)

### الصورة الجسمية للعجوز رحمة :

<sup>1</sup> عبد الحميد بن هدوقة : ربح الجنوب ، ص 43.

<sup>2</sup> الرواية ص 43.

يصور الكاتب العجوز رحمة كامرأة هرمة كبيرة في السن حالتها كحالة أغلب العجائز أثقلتها المتاعب ونالت قسطا كبيرا من صحتها يقول : " كانت العجوز رحمة تمشي الهوبنا في كلل بيّن رجلاها تتحركان في بطء وتعثّر كأنهما تنتقلان فوق الشوك ... وقد قالت وقد اقتربت من الدار وهي ترى نفيسة تنتظرها بالباب : لست أدري أرجلاي هما اللتان تحملان جسمي ، أم جسمي هو الذي يحمل رجليّ ! " (1)

كما يذكر الكاتب بعضا من صفاتها أيام شبابها فيسرد بعضا من ذكرياتها ، يقول : " وهذا الصندوق اشتراه لها أبوها يوم أن زُفّت إلى زوجها عروسا ! عندما كان لها أب وكان لها زوج، وكان حينئذ هذا الصندوق أخضر اللون جميلا... وكانت هي حينئذ فتاة عربيا تحمل عمرها في صدرها الممتلئ وفي شفثيها الباسمتين وفي عينيها الممتلئتين أحلاما وآمالا وفي صوتها العذب الصافي... أما الان فأين هي تلك الفتاة من هذه العجوز المحطمة " (2) وحتى حين سقوطها من على المنحدر يصف الكاتب نحالتها حين ينقذها رابح " وضع العجوز على ظهره وهي في حالة إغماء ورفع القفة الفارغة ، وكانت العجوز خفيفة كالقفص الفارغ " (3)

ويكمل هذا الوصف حين أعدت الطعام لرابح لتشكره على جميله معها فيقول : " ولاحظ رابح أنها كانت تلبس عباءة زرقاء أخذ لونها يحُول، وتتجلل جلاّ من صوف ، مشدودا على صدرها ب-//////// من فضة أما رأسها فكان مغطى بعدد من المناديل وعمّة دكناء من فوق تُمسك كل ذلك ، حتى لا يكاد يظهر وجهها من تحت ذلك الكوخ الموضوع على رأسها ! وكانت ذراعاها عاريتين تشبهان عودين واهيين ، لم يبق فيهما إلا الجلد يضم العظام والعروق " 4

### الصورة الجسمية لأم رابح :

<sup>1</sup> ربح الجنوب لعبد الحميد بن هدوقة ص 15 .

<sup>2</sup> نفس المصدر : ص 161.

<sup>3</sup> نفسه ص 140.

<sup>4</sup> نفسه ص 146.

أم رباح هي امرأة جاوزت سن الأربعين ، نجد وصفا لها بعيني نفيسة وذلك في جنازة العجوز رحمة " كانت بالرغم من أسماها البالية جميلة الهيئة خفيفة الحركة مشرقة المحيا ، وكانت أكثرهن نشاطا ، فمنذ أن دخلت الدار وهي قائمة لم تركز إلى الجلوس لحظة ولم تتقطع عن العمل ثانية ، وكانت حينما تقترب من الجهة التي تجلس فيها نفيسة تبتسم لها ، ولكنها لم تتبس بكلمة منذ أن دخلت الدار فأثار صمتها ذلك المستمر إعجاب نفيسة وفضولها معا ، وراحت تتابع حركاتها بصورة عفوية ، فلاحظ أن المرأة تلبس فستانا أزرق اللون تزيّنه أزهار صغيرة تشبه أزهار اللوز يوم أن كان جديدا ، وكانت تشدّ وسطها حميلة من صوف محكمة بعقدٍ من خيوط القطن الملون ، وفي نهايتي خصلتيها المتدلّيتين باقة من نوار خيوط القطن ، كانت هذه الحميلة وردية اللون ، وخيوط القطن التي خاطتها وطرزتها جمعت كل ما يصنعه قوس قزح من ألوان ، كانت تلك الألوان واضحة جلية عندما كانت هذه الحميلة جديدة .. وكانت تشدّ رأسها بمنديل من الحرير المصنوع ورسمت فيه مناظر لجامع باريس ، كان أحمر اللون حمرة الجمر ، جميلا، يوم أن كان جديدا .

كانت نفيسا تَسْتَشْفُ كل ألوان ملابس المرأة من خلال أسما تبدو للرؤية الأولى عديمة الألوان ثم انتقل بها فضولها من الملابس إلى الوجه فبدأ لها جميلا منسجم الجزاء رغم نضوب الشباب منه ، وحاولت أن تتخيل صاحبتة في ملابس أوربية عارية الرأس ، وأجهدت نفسها محاولة أن تتزع بخيالها عن المرأة أسماها وقرها وكهولتها فتصوّرها تشبه إلى حد بعيد إحدى بطلات قصص ( دوستوفسكي) بشعرها الصفر وعينيها الزرقاوين ، ولو أنها تتذكر بالضبط ما إذا كانت بطلات قصص الكاتب المذكور ذوات شعر أصفر وعيون زرق ، على أنها اطمأنت إلى هذا الشبه أكثر من غيره ، ربما يرجع ذلك إلى الجوّ العام الذي كانت فيه وقتئذٍ ؟ المهم أن هذه المرأة استولت على نفسها أكثر من كل من حولها من نساء القرية ... هذه المرأة التي غطّى جمالها فقرها وصمتها حالها ، لا تستطيع الكلام ولو رغبت فيه فهي بكمااء <sup>1</sup>.

<sup>1</sup> عبد الحميد بن هدوقة : ربح الجنوب ، ص 203 ، 204.

ويرجع الكاتب سبب بكمها إلى انتشار مرض التيفوس ( ربح التركة)، فهي تولد هكذا

بل إن هذا " المرض هو سببها " <sup>1</sup>.

### الصورة الجسمية لزيخة :

وعلى الرغم من وفاتها قبل زمن الرواية إلا أن الكاتب خصص لها قدرا لا بأس به من الوصف الجسدي وكثيرا ما يذكر الشبه الكبير بينها وبين نفيسة ، تقول خيرة (والدتها) متذكرة إياها : " آه يا خالة ... كانت زيخة كالوردة ، ذهبت حياتها وهي في مقتبل الحياة ، ذهبت ضحية بريئة .. " <sup>2</sup> ، ليواصل وصفها في سرده لأحداث عاد بالزمن فيها لأيام كانت زيخة فيها حيّة يقول: " وكانت بنته زيخة حينئذ بلغت سن الزواج فتاة جميلة لونها يشبه القمح " <sup>3</sup> أما خيرة فقد أهمل صورتها الجسدية لأن ليس له أي وظيفة فنية في الرواية.

وفي المقابل يقدّم وصفا جماعيا للنساء اللاتي يعشن في القرية يقول : " نفيسة لم تر نساء القرية بهذا العدد الضخم وفي هذه الحالة الطبيعية في الماضي ، كانت عندما تقع مناسبة تراهن في أزيائهن الطافحة البدائية، وفي تطريتهن الغريبة المخجلة وفي أغانيهن ورقصهن الفلكلوري الساذج فتتفر منهن وتشمئز من أدواقهن الجافة الخشنة، أما اليوم فلا زينة ولا تجميل ولا أغاني صاحبة إنما يتحدثن عن حياتهن وحياة العجوز رحمة ويذكرنها بكل ما تعرف أسننتهن من عبارات الثناء والامتنان ... وهنّ يلبسن أثوابهن العادية القديمة البالية أحيانا وأعينهن صافية من كل كحل وشفاههن في لونها الطبيعي ، وأذرعهن وأرجلهن لا تحمل أساور ولا خلاخل ولا تحدث بحركاتها أي ضجة حديدية ، كن طبيعيات كما هنّ في كل يوم ، وكنّ بسبب ذلك جميلات طبيّيات حيّيات " <sup>4</sup>.

### خامسا: رمزية المرأة في الرواية :

يختار الكاتب للمرأة الرمزية اسما يتماشى مع ما ترمز إليه تلك الشخصية وإذا كان كل اسم في الرواية يتطابق مع المسمى اسم فإن الشخصية الرمزية أكثر دلالة على ما تشير

<sup>1</sup> عبد الحميد بن هدوقة ، ربح الجنوب ، ص 150.

<sup>2</sup> المصدر نفسه ، ص 33

<sup>3</sup> نفسه ص 58

<sup>4</sup> نفسه ، ص 202.

إليه بل يعدّ مفتاحاً لفهمه ومن هنا نجد أن اسم "رحمة" يدلّ على التراحم بين كل الأطراف ، كما ترمز إلى الصبر والحكمة ولمّ الشمل ، وبوفاتها تحدث تطورات خطيرة فقد كانت تمثل عامل الوحدة والتماسك والثبات <sup>1</sup>.

كما شكّلت همزة الوصل بين الأصالة والمعاصرة فحافظتها على الحرفة المتمثلة في صناعة الفخار تعطي المثل في تمجيد العمل والاعتماد على النفس والتمسك بالأصالة وتربطها بالأرض علاقة قوية ووثيقة فهي تعيش في بيتها وحيدة لا مؤنس لها فيه سوى التراب الذي تجلبه من أماكن بعيدة ، إذن فهي رمز للمرأة الجزائرية التقليدية ، رمز لجيل الثورة المتمسك بأرضه وعلى الرغم من أميتها فإنها تمثل الأصالة الحقيقية للمجتمع الجزائري.

في المقابل نجد نفيسة والذي يعني اسمها " الفتاة الغالية أو تعني الكنز النفيس " فالكاتب يصورها كشابة تحظى بالاهتمام والعناية من طرف جميع الأشخاص في الرواية فكانت تمثل الاختلاف بسبب ثقافتها وتفكيرها الحرّ ، وعندما يضع الكاتب رحمة بجانب نفيسة في رواية واحدة إنما يقصد بذلك الإشارة إلى الجيلين معاً ، جيل المرأة الجزائرية التقليدية التي تمثل الماضي وجيل امرأة المستقبل التي تمثل التعليم والثقافة والتطور والسعي نحو تحقيق الآمال والرفي .

أما اسم خيرة وعلى الرغم من دورها البسيط في الرواية فإن اسمها يحمل دلالات على الخير والحب والأمل فهي رمز المرأة الصابرة وغاياتها لا تتعدى أن تُسعد كل من حولها . هذا على الرغم من أن الدكتور مصطفى فاسي يجد بعض المبالغة في تحميل الشخصيات دلالات قوية وجعلها رموزاً لما يفوق قدراتها فابن هدوقة حسبه يحمل العجز رحمة أحياناً أكثر من مستواها الذهني حيث يجعلها تتحدث بعبارات ومعاني تفوق عبارات امرأة جاهلة تقطن بالبادية " حتى أنه ينتقل بها من مجرد صانعة للأواني إلى فنانة حقيقية تنظر إلى ما تصنعه يداها نظرة أي رسام أو نحّات أو فنان بصفة عامة إلى فنه " <sup>2</sup>.

<sup>1</sup> صالح مفقودة : المرأة في الرواية الجزائرية ، ص 166-167.

<sup>2</sup> مصطفى فاسي : دراسات في الرواية الجزائرية ، ص 24.

وما يهمننا هو نفيسة باعتبارها الشخصية النسوية المركزية في الرواية فقد مثلت رمز الثورة والتحرر ، فصحيح أنها تنتمي في الصل إلى الريف وصحيح أنها تعلمت في المدينة وعليه فإن الصراع القائم الرواية يظهر من خلال أفكارنا فهي ترمز وبشكل واضح إلى الثورة على التخلف .

ويرى مصطفى فاسي مرة أخرى أن شخصية نفيسة امتازت بنوع من الرتبة وعدم التطور فالتطور الذي حدث في شخصيتها لم يكن في الواقع سوى في حركتها الخارجية أما في احساسها وشعورها وفكرها فإن نفيسة في بداية الرواية هي نفسها في نهايتها ، ويرجع السبب في ذلك إلى أن الكاتب قصد عمدا تحميلها كثيرا من أفكاره الثورية والاصلاحية فيما يتعلق بتطور المجتمع وتحرير المرأة وكانت هذه الأفكار أفكارا نظرية في معظمها <sup>1</sup>. وابن هدوقة من خلال ما يجول في ذهن نفيسة من أفكار يصف وضعية المرأة العربية بصفة عامة ، ما تتحمله من أعباء وما تتعرض له من سيطرة وسخرية واضحة من طرف الرجل . إن في وصف الكاتب للمرأة في هذه الرواية مقارنة واضحة وجليّة بين المرأة في الريف والمرأة في المدينة فهو يسعى دائما إلى وصف الثانية وصفا لائقا ولو بطريقة غير مباشرة بينما يورد بعض الصفات التي تعبّر عن بعض الاحتقار للمرأة الريفية ، احتقار لا يصدر منه بنظرة استعلائية عليها بل يرجع سببه إلى جهلها وأميتها وتخلفها وإلى الظروف المحيطة بها وبشكل خاص إلى معاملة الرجل لها .

إن هذه الفروقات بين المرأة في الريف ونظيرتها في المدينة يظهر على لسان نفيسة التي أول ما يلفت نظرها في الرواية هو الفرق بين معاملة المرأة في كلا المكانين ، فهي تبدو متأكدة من أن حقيقة المرأة واحدة في كل مكان إنما الذي يختلف هو مدى قدرة المرأة على الدفاع عن حقوقها أمام المجتمع : والمعاملة المختلفة التي تحظى بها المرأة الريفية سلبتها حريتها كاملة تقول : " هناك الفتاة دائما تبحث عن أحدث طريقة لإبراز ما قد يخفى فيها من جمال ، وهناك تبحث دائما عن أقدم طريقة لإخفاء الجمال والقبح معا ، هناك تخرج كل يوم

<sup>1</sup> مصطفى فاسي : دراسات في الرواية الجزائرية: ص 14.

، وفي اليوم عدّة مرات وهنا نخرج طوال حياتنا كلها ثلاث مرات .. في الجزائر أفكر في كل شيء ما عدا نفسي وإذا فكرت فيها فمن حيث اتصالها بالآخرين ، وهناك لا أفكر إلا في نفسي ، وإذا فكرت في الآخرين فلاتصال ذلك بشيء يخصني " <sup>1</sup>

ويتضح جليا في كلامها هذا أن المرأة في المدينة حرّة في الذهاب والرواح حيثما ارادت دون أن تتعرض للمضايقة ودون أن ينكر عليها أحد ذلك أما المرأة في الريف فهي محكوم عليها بملازمة المنزل بل وعدم الخروج منه سوى ثلاث مرات : مرة من بطن أمها والثانية لبيت زوجها والثالثة نحو قبرها ، وما يضاعف حزن الفتاة أن الضغط الذي تتعرض له في الريف ينبع من جهلها تقول : «إن جهل الرجال هو الذي أطلق ألسنتهم بالسوء فينا ، وإن جهل المرأة هو الذي يجعلها تحيا بين عبودية الآباء والأبناء <sup>2</sup> » ، حتى أن الكاتب جعل العجوز رحمة توافقها الرأي في كون المدينة أفضل من الريف حتى من الناحية الأخلاقية وطريقة معاملة المرأة تقول : " كل بلد له مقاييسه يا نفيسة ! هل قرينتا ومدينة الجزائر متساويتان في كل شيء ؟ هناك النور والدور والسيارات والجنّات ...وهنا يا بنيتي إن خرجت ماذا ترين؟ أكواخ وجبال وليل ونهار ، الرجال هنا كالوحوش يلتهمونك بأعينهم إن رأوك : فهم لا يرون مثلك في بيوتهم ولا في غدوهم ورواحهم " <sup>3</sup>

كما جعل من رباح الشخص الذي يجسد موقف الرجل من المرأة في الريف ، حيث صوره كسادج وقع في حب نفيسة لمجرد أنها ضحكت معه حين طلبت منه أن يأخذ رسالتها إلى مركز البريد ، حتى أنه اقتحم غرفتها ليلا لتطرده بقولها : " أخرج أيها الراعي القدر " هذا الشقّ من الرواية أراد به الكاتب أن يبيّن أن نظرة الرجل للمرأة لا تكون باحترام بل غنه لا يرى منها سوى الجسد ، ثم صور ذهنية الرجل الريفي وكيف يقارن بين الفتاة في المدينة والفتاة في الريف على لسان رباح أيضا الذي آلمته العبارات التي شتمته بها نفيسة يقول : " لعلّ الفتيات اللواتي تربين في المدن يختلفن عن الفتيات هنا ؟ يضحكن للرجال الأبعد دون

<sup>1</sup> عبد الحميد بن هدوقة : ربح الجنوب ، ص 256.

<sup>2</sup> نفسه ، ص 42.

<sup>3</sup> عبد الحميد بن هدوقة : ربح الجنوب ، ص 44

أن يكون لضحكهن نوايا معينة ! ولعلهن من سذاجتهن لا يعرفن إذا تحدثن إلا الضحك ، وإذا غضبن فلا يعرفن إلا الشتم المفرط .. " القدر " ما معنى القدر ؟... لا شك أنها تتصور الراعي ككلب لا كرجل ، لكنها هي الكلبة وهي ابنة الكلب ، من قال لها تضحك..لم اضحك لها أنا الأول ولم أفكر فيها ، هي التي بدأت الضحك...الفاجرة ... ثم تشتمني"<sup>1</sup>

كما ضمّن بن هدوقة روايته جزئيات قد تبدو بسيطة لكن بداخلها توجد مدلولات على اختلاف المرأة المدنية عن الريفية وحاول جاهدا أن يجعل من تحرر المرأة وتعلمها أكثر من ضرورة فها هي نفيسة أنموذجه ورمزه للتحرر بدل أن تلجأ لوالدتها بطبيعة الحال في الأوقات الحرجة جعلها تتبعد عنها وترى تفكيرها ساذجا وسخيفا ولا يخدم تطلعاتها خاصة وأنها تعرف أن والدها يهيمن عليها ، ولجأت إلى خالتها تلتمس منها المساعدة ذلك أنها تعرف جيّدا مدى الفرق بين الذهنتين المدنية والريفية ، وترى في خالتها بصيص الأمل الذي قد يخرجها من وضعها المأساوي ، وضع لا تستطيع فيه حتى أن تختار زوجها كإنسان له حقوق في الحياة ، هذا الوضع الذي أعمى بصيرة من عايشه فحاد كثيرا عن تعاليم الدين السمحة التي تبين وبشكل واضح ضرورة مشورة الفتاة قبل تزويجها فلا يجوز غضبها عن لا تريده ، إن الكاتب هنا يوضح أن جزائر ما بعد الاستقلال بلغت من الجهل والتخلف حدّا كبيرا ، فالقيم التي ورّثها الدين طمسها الاستعمار بتجهيل الشعب ، هذا وغن وجدنا أن عبد الحميد بن هدوقة بالغ بعض الشيء في تصوير مرارة الواقع بهذه القرية .

وعلى العموم فإنه استطاع أن يقدّم من خلال هذه الرواية صورة عمّا عاشته المرأة الجزائرية في فترة السبعينات ، فترة كان يجدر أن تسترد فيها بعضا من حقوقها المهضومة ولكن ليس سهلا أن يتغير مجتمع عاش طيلة مائة واثنيتي وثلاثين سنة تحت وطأة الاستعمار فعانى التشرد والجهل والفقر والعوز وليس سهلا أن تقوم الدولة على رجليها من جديد وإن فعلت فإن قضية المرأة ستكون هامشية نظرا لوجود قضايا أهم وأكبر وعلى رأسها الاقتصاد .

<sup>1</sup> عبد الحميد بن هدوقة : ربح الجنوب ، ص 148

إذن فترة السبعينات أقل ما يقال عنها أنها كانت كارثية بالنسبة للمرأة الريفية ولا بأس بها بالنسبة لنظيرتها في المدينة ، وعليه فإن هدف بن هدوقة كان واضحا من كتابة " ربح الجنوب" ألا وهو تسليط الضوء على معاناة المرأة في المجتمع وضرورة تعليمها حتى لا يكون جهلها سببا في عبوديتها ، لأن الجهل يرمي بالمجتمع ككل في الحضيض فما بالك بالمرأة وهي التي منذ القدم تعاني من النظرة الاستعلائية للرجل .

**خاتمة :**

لقد خلصت هذه الدراسة لموضوع صورة المرأة في الرواية الجزائرية الصادرة في السبعينيات " ربح الجنوب " أنموذجا إلى جملة من النتائج نلخصها فيما يلي :

✓ إن مكانة المرأة في المجتمع الجزائري لطالما تحكّم فيها الرجل وإن نضال المرأة من أجل تحررها هو تحرر من قيم الجهل والتخلف وليس خروجا عن الدين والأخلاق .

✓ إن فترة السبعينيات هي الفترة التي تمثل مرحلة التغيير في المجتمع الجزائري وهي اللبنة التي بنيت عليها الدولة والقيم في المجتمع.

✓ إن الرواية الصادرة في السبعينيات عالجت قضايا الساعة وعبرت عن الأمل في مستقبل أفضل وابتعدت عن المواضيع المألوفة فمثلت عقد الرواية الجزائرية المكتوبة بالعربية ومرحلة نهضتها.

✓ إن قضية المرأة تمّ تداولها في هذه الروايات وإن لم تكن هي القضية الأساسية إلا أنه تمّ التطرق إليها وتسليط الضوء على معاناتها في ظلّ تعسف المجتمع .

✓ إن توظيف العنصر النسوي في الرواية يكتسي أهمية بالغة نظرا لصدق المرأة في التعبير وامكانياتها في التأثير سواء بتصرفاتها أو لغتها فهي تضيف عنصر التشويق والجذب .

✓ لقد صوّرت لنا الروايات الصادرة في السبعينيات نماذج من حياة المرأة ، باعتبارها الركيزة الأساسية في الحياة الاجتماعية بطبعها واحساسها وعواطف تفكيرها ، فهي تسعى لتحقيق ذاتها ولعلّ هذا راجع إلى العلاقات الأسرية .

✓ يخلق لنا الراوي صورة المرأة بمختلف الطرق والوسائل ، ليبين لنا الصراع الذي يحدث بين المرأة والمجتمع .

✓ تساعد البنية الاجتماعية على معرفة واقع المرأة وتساعد البنية النفسية في فهم شخصية المرأة من خلال معرفة احتياجاتها ومشاعرها ورغباتها لذلك سيركز الأدباء على هذين البعدين في تصوير المرأة في الرواية .

✓ يوظف الراوي المرأة ليسلّط الضوء على معاناتها ويرسم أحلامها وطموحاتها ، كما يوظفها أيضا ليحقق من خلالها غايات أخرى فتشمل أحيانا رمزا للوطن أو رمزا للحرية وغير ذلك ، إذن فبالإضافة إلى عامل الجذب قد تمثل وسيلة يعبر بها عن أفكاره أو عن قضايا المجتمع بطريقة غير مباشرة .

رواية ربح الجنوب لعبد الحميد بن هدوقة والتي تعتبر أول رواية ظهرت باللغة العربية في عهد الاستقلال فهي ملّمة بكل شروط الفن الروائي تعالج وفي واقعية متّزنة موضوعا يهم المجتمع الجزائري ، فهي تحمل رؤية واضحة تشير إلى الغد ، كشف فيها الأديب عن البنية المعقدة للنظم الاجتماعية للعشب الجزائري ويركز فيها على موضوع المرأة ويدافع عن فكرة تحررها من القيم التي غرسها الجهل والتخلف في المجتمع .

✓ ينظر ابن هدوقة إلى المرأة كإنسان شامل يملك علاقات مع جميع أطراف المجتمع فهو يصورها كشابة وكهولة وعجوز ، كابنة وأخت وزوجة وأم وجدّة في مواقف تعكس المتغيرات والثوابت الاجتماعية .

✓ يُحدّث الأديب مقارنة بطريقة غير مباشرة بين الفتاة الريفية والفتاة في المدينة ويجعل الأولى تسعى للوصول إلى الثقافة التي تمتلكها الثانية فتكون ثورتها ضد الجهل وضدّ بطش الرجل وطغيانه .

✓ من أهم المسائل المطروحة في هذه الرواية هي موقف المرأة من الزواج ومن العمل في البيت وخارجه وموقفها أيضا من الماضي والتواصل بين الأجيال والرغبة في مستقبل أفضل .

✓ اعتمد بن هدوقة في بنائه الروائي على المزوجة بين ما هو واقعي ، وما هو رمزي ، والنهاية عنده هي نهاية مفتوحة تجعل للقارئ رؤية خاصة فلا تكون مجرد رواية معروضة للاستهلاك .

✓ توظيف الرصيد الشعبي من أمثال وحكم وعادات وتقاليد داخل الرواية أعطى لها طابعا أصيلا يجعل القارئ يتفاعل بصدق مع أحداثها .

✓ إن توظيف بن هذوقة للعنصر النسوي في رواية ربح الجنوب يكشف عن معاناة المرأة الجزائرية في فترة تحكّم فيها الجنس الذكوري في كل شيء فلم يكن لها الحق حتى في اختيار زوج تكمل معه حياتها .

✓ المرأة في هذه الرواية تمثل رمزا للثورة على التخلف وقد طرح الكاتب من خلالها أفكاره الداعية إلى تحريرها من طغيان المجتمع .

وأخيرا أرجو أن أكون قد وفقت ولو بالقليل في الإلمام بجوانب هذا الموضوع والله الموفق .

## قائمة المصادر والمراجع:

### المصادر:

عبد الحميد بن هدوقة، ربح الجنوب، عن الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1971.

### المراجع:

-أحمد دوغان، في الأدب الجزائري الحديث، منشورات اتحاد كتاب العرب، 1996م.

-الأخضر بن السائح، سرد المرأة وفعل الكتابة، دار التنوير للنشر والتوزيع، الجزائر 2012.

-بشير بويجرة محمد، الشخصية في الرواية الجزائرية (1970-1983)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د ط.

-تزيقات تودوروف ، نظريات في الرمز، ترجمة محمد الزكراوي، ط1،توزيع مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت، 2012.

-جبران مسعود، الرائد في اللغة والاعلام ، دار العلم للملايين ، ط3، 2005.

-صالح مفقودة ، المرأة في الرواية الجزائرية ، ط2 ، جامعة محمد خيضر ، بسكرة ، 2009.

-الطاهر وطار، الزلزال، الشركة الوطنية للنشر، د ت ص.

- الطاهر وطار، العشق والموت في الزمن الحراشي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع - الجزائر ط2. 1982.

-طه وادي، صورة المرأة في الرواية المعاصرة ، دار المعارف ، ط2 ، 1980 .

- الطيب ولد العروسي، أعلام من الأدب الجزائري الحديث.

-عبد الحميد بن هدوقة -بان الصبح، المؤسسة الوطنية للكتاب، ط.2.

-عبد العالي عرعار، ما لا تذروه الرياح، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، د ط.

-عبد الله الركبي، تطور النثر الجزائري الحديث، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، 1976.

-عبد الله الغدامي، المرأة واللغة ، المركز الثقافي العربي للنشر ، بيروت ، 2006.

- علية رحمين، سيمياء العنوان في رواية عبد الحميد بن هدوقة والطاهر وطار- دراسة سيميائية-مذكرة ماجستير، كلية الآداب ، باتنة -الجزائر. 2013 .
- عمر بن قينة، الريف والثورة في الرواية الجزائرية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1988.
- محمد مصايف، الرواية العربية الجزائرية الحديثة بين الواقعية والالتزام ، الشركة الوطنية للنشر، الجزائر، 1983.
- محمد مصايف، النثر الجزائري الحديث ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1983 .
- محمودي هاجر، المرأة والمدنية في رواية طوق الياسمين لواسيني العرج ، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر، كلية الآداب جامعة، محمد خيضر بسكرة -2015 .
- مصطفى فاسي، دراسات نقدية في الرواية الجزائرية ،دار القصبه للنشر ، د ط ، د ت.
- نبيل سليمان، أسئلة الواقعية والالتزام، دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا، ط1. 1985.
- واسيني الأعرج، اتجاهات الرواية العربية في الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر.
- يحي بوعزيز، المرأة الجزائرية وحركة الاصلاح النسوية العربية ، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع د ط، د ت.

# الفهرس

أ	إهداء
ب	شكر
ت	خطة البحث
ج	مقدمة

## الفصل الأول: أبعاد صورة المرأة في الرواية الجزائرية الصادرة في السبعينات

10	تمهيد
13	المرأة والرواية
13	نشأة الرواية الجزائرية وتطورها
16	اهمية موضوع المرأة في الرواية
19	توظيف العنصر النسوي في الرواية
22	مقاربة لصور المرأة في الرواية الجزائرية الصادرة في السبعينات
22	السبعينات عقد الرواية الجزائرية
25	أبعاد صورة المرأة في الرواية الجزائرية الصادرة في السبعينات
25	البعد الإنساني
26	صورة الزوجة
28	البعد الاجتماعي
28	صورة المرأة المضطهدة
29	صورة المرأة الثورية
30	البعد النفسي
34	البعد الجسمي
36	رمزية المرأة في الرواية
37	دلالة الاسم
37	التركيز على صفة أو مجموعة من الصفات
37	عدم الاهتمام بالوصف الحسي الخارجي

38	الغموض
38	المرأة رمز الخير.

### الفصل الثاني: صورة المرأة في رواية ربح الجنوب

40	تمهيد
42	التعريف بالكاتب
47	تقديم الرواية
47	ملخص الرواية
51	صورة المرأة في رواية ربح الجنوب
51	الصورة الاجتماعية لنفيسة
53	الصورة الاجتماعية للعجوز رحمة
53	الصورة الاجتماعية لخيرة
54	الصورة النفسية لنفيسة
55	الصورة النفسية للعجوز رحمة
56	الصورة النفسية لخيرة
57	الصورة النفسية لأم رباح
58	الصورة الجسمية لنفيسة
60	الصورة الجسمية للعجوز رحمة
61	الصورة الجسمية لأم رباح
62	الصورة الجسمية لزليخة
63	رمزية المرأة في الرواية
68	الخاتمة
71	قائمة المصادر والمراجع

## ملخص:

شهدت السبعينيات من القرن الماضي ميلاد الرواية الجزائرية المكتوبة بالعربية في شكلها المكتمل فنياً؛ والتي عالجت قضايا المجتمع وعبرت عن تطلعاته وأحلامه كما صورت معاناته ومشاكله في ظل التغيير الجذري الذي مس الدولة بعد سنوات طويلة من الاستعمار.

وقضية المرأة حظيت بنصيبها من المعالجة ذلك أنها نتعرض للتهميش وتعاني من التخلف والجهل والاضطهاد والرجعية التي لا تمت للدين بصلة، لكن المجتمع الذكوري فرضها عليها ولذلك رأى الأدباء أنه من الضرورة تسليط الضوء على قضيتها ومحاولة إيجاد الحلول التي تضمن كرامتها، وعبد الحميد بن هدوقة في روايته ربح الجنوب استطاع تصوير هذه المعاناة كما دافع عن أبسط الحقوق التي يجب أن تحظى بها المرأة كالحق في التعليم والحق في اختيار الزوج، ولهذا جعل من شخصية نفيسة بطلنة الرواية مرزا للثورة على التخلف وتعسف الرجل

الكلمات المفتاحية: المرأة، الرواية ، ربح الجنوب

## Summary:

The seventies of the last century saw the birth of the Algerian novel written in the Arabic language in its complete artistic form which deals with problems and issues of the society and also expressed the individual expectation and dreams it even described the misery and the different problems under the conditions of the radical changes that touched the country after many years of colonization the issues of women like backwardness ignorance oppression had its share of treatment that issues did not belong to the religion at all but the male society imposed on them therefore the writers saw it necessary to shed light of her case and try to find solutions that ensure dignity ABD ALHamid Benhadage in his novel (RIH EL DJANOUBE) was able to portray this suffering as he defended the most basic rights that women should have such as the right of education and the right to choose a husband and this is why he made the principal character of his novel (Nafissa) like a symbol of the revolution on backwardness.

**Key words:** Women, Novel, Wind South